

نفسية سورة الفاتحة

تأليف
أ.د. محمد بن عبد الرحمن الشامي

دار التدریس

تفسير
سورة الفاتحة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م

دار التدمرية

الرياض - ص.ب: ٢٦١٧٣ - الرمز البريدي: ١١٤٨٦

هاتف: ٤٩٢٤٧٠٦ - ٤٩٢٥١٩٢ - فاكس: ٤٩٣٧١٣٠

Email: TADMORIA@HOTMAIL.COM

المملكة العربية السعودية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله الذي أنزل كتبه، وأرسل رسله لإظهار الحق، وهداية الخلق، وإقامة العدل، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه والمسلمين إلى يوم الدين.. وبعد:

فسورة الفاتحة من أعظم سور القرآن، افتتح الله بها كتابه، وأرشد لها عباده في صلاتهم يقرؤونها في كل ركعة من ركعات صلاتهم، والحاجة لمعرفة تفسيرها، وإدراك دلالاتها ومعانيها ضرورة لكل مسلم.

وهذه الصفحات هي شذرات في تفسيرها وما يتعلق بها كانت محاضرات على طلاب جامعة الإمام في كلية اللغة العربية بالرياض، تركتها على صورتها لتمثل مرحلة من مراحل الجامعة في أسلوبها ومستواها، بما لها وما عليها.

والله أسأل أن ينفع بها ويتقبلها ويكتب أجرها ويجعلها ذخراً.. آمين.
آمين.

أ.د. محمد بن عبدالرحمن الشايع

مقدمة في تفسير سورة الفاتحة

تتضمن عدة مسائل:

الأولى: عدد حروف هذه السورة الكريمة مائة وثلاثة وعشرون حرفاً.

كما ذكر ذلك الفيروز آبادي في بصائره.

وذكر ابن كثير في تفسيره أنها مائة وثلاثة عشر حرفاً^(١).

وهذا الاختلاف عائد إلى الاختلاف في عد الحرف المضاعف، والساكن والاختلاف في القراءات. والله أعلم.

الثانية: عدد كلمات هذه السورة الكريمة خمس وعشرون كلمة^(٢).

الثالثة: في عدد آياتها.

فالجهاهير من العلماء - بل حكي إجماعاً - أنها سبع آيات.

لكنهم اختلفوا في الآية التي صارت فيها سبع آيات.

فقد عدّ المكيون والكوفيون وجماعة من الصحابة والتابعين وخلق من

الخلف: البسملة آية ولم يعدّها آخرون وعدّوا عوضاً عنها قوله: ﴿أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ﴾

[الفاتحة: ٧] آية.

وهذا قول قراء أهل المدينة ومتفقيهم.

(١) بصائر ذوي التمييز (١/١٢٨)، وابن كثير: (١/٨).

(٢) بصائر ذوي التمييز (١/١٢٨).

وسياتي تفصيل ذلك عند الحديث عن البسملة.
وقد روي شذوذاً عن حسين الجعفي أنها ست آيات.
قال ابن عطية عن هذا القول: وهذا شاذ لا يعول عليه^(١).
وكذلك روي عن عمرو بن عبيد أنه جعل ﴿إِنَّاكَ تَبْدُ﴾ [الفاتحة: ٥] آية ،
فهي على عده ثمانى آيات، وهذا شاذ أيضاً.
يقول القرطبي رَحِمَهُ اللهُ في رد هذين القولين: وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ

سَبْعًا مِّنَ اللَّتَانِ﴾ [الحجر: ٨٧]، وقوله: قسمت الصلاة - الحديث - يرد هذين القولين^(٢).

الرابعة: الخلاف في موضع نزولها.

فقد اختلف العلماء في هذه السورة الكريمة أهي مكية أم مدنية؟ فقليل:
١ - هي مكية. وهو قول علي، وابن عباس، وقتادة، وأبي العالية، وأبي
ميسرة، والحسن، ومحمد بن يحيى بن حبان.

أدلة نزولها بمكة:

أخرج الواحدي في أسباب النزول، والثعلبي في تفسيره عن علي عليه السلام
قال: نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش^(٣).
وأخرج أبو بكر الأنباري في المصاحف عن قتادة قال: نزلت فاتحة

(١) تفسير القرطبي (١/١١٥)، وابن عطية (١/٦١)، وابن الجوزي (١/٣).

(٢) تفسير القرطبي (١/١١٤).

(٣) الدر المنثور (١/١٠).

الكتاب بمكة^(١).

٢- هي مدنية. قاله: أبو هريرة، وعطاء بن يسار، ومجاهد، والزهري، وسودة بن زياد، وابن عباس -أيضاً- وعبد الله بن عبيد الله، وعمير. وقد اشتهر هذا القول عن مجاهد حتى قال الحسين بن الفضل في تضعيف هذا القول و نسبته إلى مجاهد قال: لكل عالم هفوة وهذه هفوة مجاهد^(٢). وقد ذكر الألوسي عن مجاهد أنها مدنية، ثم قال: وقد تفرد بذلك حتى عد هفوة منه^(٣).

قلت: وحكاية تفرده مردودة بنسبة هذا القول إلى من تقدم ذكرهم^(٤).

أدلة نزولها بالمدينة:

أخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً [صوتاً كصوت فتح الباب إذا فتح] من فوقه، فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، تنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم

(١) الدر المنثور (١/١١).

(٢) تفسير الرازي (١/١٧٧).

(٣) تفسير الألوسي (١/٣٣).

(٤) انظر: أدلة نزولها في الدر المنثور (١/١٠-١١).

يؤتيا نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته»^(١).

ووجه الدلالة هنا على مدنية سورة الفاتحة: أنها قرئت بنزول الملك بها مع خواتيم سورة البقرة المدنية.

وقد أجاب القرطبي عن هذا بأن جبريل ﷺ نزل بتلاوتها بمكة، ونزل هذا الملك بثوابها بالمدينة، وبخاصة أن جبريل هو الذي نزل بالقرآن الكريم؛ لقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، وهذا يقتضي جميع القرآن^(٢). وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف، وأبو سعيد بن الأعرابي في معجمه، والطبراني في الأوسط من طريق مجاهد عن أبي هريرة: أن إبليس رن حين أنزلت فاتحة الكتاب وأنزلت بالمدينة^(٣).

وأخرج وكيع، والفريابي في تفسيرهما، وأبو عبيد في فضائل القرآن، وابن أبي شيبة في المصنف، وعبد بن حميد، وابن المنذر في تفسيره، وأبو بكر الأنباري في كتاب المصاحف، وأبو الشيخ في العظمة، وأبو نعيم في الحلية من طرق عن مجاهد، قال: نزلت فاتحة الكتاب بالمدينة^(٤).

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٩١/٦).

(٢) تفسير القرطبي (١١٦/١).

(٣) وقد ذكر السيوطي في الدر المشور في موطن آخر (١٦/١) نحوه عن مجاهد ولم يأت فيه: أنها نزلت في المدينة، فقال: رن إبليس أربعاً حين نزلت فاتحة الكتاب، وحين لعن، وحين هبط إلى الأرض، وحين بعث محمد ﷺ.

(٤) الدر المشور (١١/١).

٣- أنها مكية مدنية، نزلت مرة بمكة وأخرى بالمدينة. حكاها الثعلبي.

ولذا قيل لها السبع المثاني؛ لأنها ثنيت في النزول.

قال الآلوسي^(١): وقيل نزلت بمكة حين فرضت الصلاة، وبالمدينة لما حولت القبلة ليعلم أنها في الصلاة كما كانت.

٤- أنه نزل نصفها بمكة، ونصفها بالمدينة. حكاها أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي في تفسيره.

والراجع أنها مكية يشهد لذلك:

١- الإشارة إليها في سورة الحجر في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ

الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]، والحجر مكية بإجماع.

وقد جاء في الحديث أنها السبع المثاني الذي أوتيته.

٢- أنه لا خلاف في أن فرض الصلاة كان بمكة، وما حفظ قط أنها

كانت في الإسلام صلاة بغير الفاتحة ﴿أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

[الفاتحة: ٢]، يدل على هذا قوله ﷺ: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب».

وهذا خبر عن الحكم لا عن الابتداء - كما يقول القرطبي

رَحِمَهُ اللَّهُ - (٢).

(١) (٣٣/١).

(٢) تفسير القرطبي (١١٦/١)، وبصائر ذوي التمييز (١٢٨/١)، وابن كثير (٨/١)، والرازي

(١٧٨/١).

- ٣- ما هو مشهور عند العلماء أن الفاتحة من أول القرآن نزولاً، بل قيل بأنها أول ما نزل، وأنها أول سورة نزلت كاملة على الرسول ﷺ^(١).
- ٤- ما قاله الألوسي من أن نفي نزولها بالمدينة هو الأصل، وعلى مدعي الإثبات؛ الإثبات^(٢).

الخامسة: في أسماؤها.

لهذه السورة العظيمة الكريمة الكثير من الأسماء، وكثرة الأسماء دليل على شرف المسمى، وقد ذكر الفيروزآبادي في بصائره أن أسماءها قريبة من الثلاثين وعدّ بعضها^(٣).

وذكر القرطبي لها اثني عشر اسماً، ومن أشهر هذه الأسماء^(٤):

١- الفاتحة - فاتحة الكتاب.

٢- أم الكتاب.

٣- الحمد.

٤- أم القرآن.

٥- السبع المثاني - المثاني.

٦- الشفاء - الشافية.

(١) ابن عطية (٦١/١)، والقرطبي (١١٥/١).

(٢) الألوسي (٣٣-٣٤)، وانظر كتاب: المكي والمدني في القرآن الكريم، د. محمد الشايع.

(٣) بصائر ذوي التمييز (١٢٨/١)، وانظر كتاب: أسماء سور القرآن الكريم، د. محمد الشايع.

(٤) تفسير القرطبي (١١١/١).

٧- الرقية.

٨- الأساس.

٩- الكنز.

١٠- الوافية.

١١- الكافية.

١٢- النور.

١٣- الصلاة - سورة الصلاة.

١٤- سورة تعليم المسألة.

١٥- سورة المناجاة.

١٦- سورة التفويض.

١٧- القرآن العظيم.

وللعلماء آراء في تعليل هذه التسميات وبيان معانيها كما أن في بعضها خلاف في صحة تسميتها بها. وإليك بعض التفصيل.

١- فاتحة الكتاب:

تسمى بهذا الاسم من غير خلاف بين العلماء، وتعليل هذه التسمية أنه يستفتح الكتاب بإثباتها خطأً، وتلاوتها لفظاً، وبافتتاح الصلاة بها^(١). فهي فاتحة الكتاب بترتيبه الموجود المعهود.

(١) الماوردي (٣٠٢)، القرطبي (١/١١١).

٢- الحمد:

لأن فيها ذكر الحمد، كما يقال سورة الأعراف، والأنفال، والتوبة، لذكر ذلك فيها.

٣- أم الكتاب:

وفي هذا الاسم خلاف.

فكرهه أنس، والحسن، وابن سيرين، ووافقهما بقي بن مخلد^(١). قال الحسن: أم الكتاب: الحلال والحرام، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

وقال أنس وابن سيرين: أم الكتاب اسم اللوح المحفوظ، فلا يسمى به غيره؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِئِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤].

وجوزه الجمهور لأن الكتاب هنا هو القرآن، قال ابن عباس وغيره: يقال لها أم الكتاب. وقال البخاري: سميت أم الكتاب؛ لأنه يبدأ بكتابتها في المصحف، وبقراءتها في الصلاة.

وفي تسميتها بأم الكتاب حديث رواه أبو هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «الحمد لله أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني» أخرجه الترمذي وصححه^(٢).

(١) فتح الباري (١٥٦/٨).

(٢) فتح الباري (١٥٦/٨)، وابن عطية (٦١/١)، والصحيح (٦-٢٠).

ولا فرق في تسميتها بأم القرآن، وأم الكتاب، وكما قال ابن حجر: وإذا ثبت النص طاح ما دونه^(١).

٤- أم القرآن.

وقد كره هذه التسمية أنس، وابن سيرين، وجوزة الجمهور، قال الحسن البصري: اسمها أم القرآن.

وقال يحيى بن يعمر: أم القرى مكة، وأم خراسان مرو، وأم القرآن سورة الحمد.

وقيل: سميت أم القرآن لتقدمها، وتأخر ما سواها تبعاً لها، فبذلك صارت أمّاً؛ لأنها أمّته، أي: تقدمته، ومنه الإمام في الصلاة؛ ولذلك قيل لراية الحرب أمّاً لتقدمها، واتباع الجيش لها. قال ذو الرمة^(٢):

على رأسه أم لناقتدي بها * جماع أمور لا نعاصي لها أمراً
كما يقال لما مضى على الإنسان من سني عمره أمّاً لتقدمها. قال الشاعر أبو عبدالله التيمي:

إذا كانت السبعون أمك لم يكن * لدائك إلا أن تموت طيب
وإن أمراً قد سار خمسين حجة * إلى منهل من ورده لقريب
إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل * خلوت ولكن قل عليّ رقيب

(٢) فتح الباري (١٥٦/٨).

(٢) ديوانه (١٢٤٦/٣).

إذامانقضى- القرن الذي أنت منهم * وخلفت في قرن فأنت غريب
ومن ذلك تسمية الأم أمّاً لأنها أصل النسل، والأرض تسمى أمّاً كما قال
أمية بن أبي الصلت:

فالأرض معقلنا وكانت أمنا * فيها مقابرنا وفيها نولد
ولذا سميت مكة أم القرى، قالوا لأنها أول الأرض ومنها دحيت، أو
سميت بذلك لتقدمها على سائر القرى.

وأصل أم: أمهة، ولذلك تجمع على أمهات، ويقال: أمات بغير هاء،
وقيل: إن أمهات في الناس، وأمات في البهائم، حكاه ابن فارس في المجمل.
ثم إن هذه السورة مشتملة على المعاني التي في القرآن الكريم من الشناء
على الله تعالى بما هو أهله، فتضمنت التوحيد، والعبادة، والوعظ والتذكير،
والدعاء.

٥- الصلاة (سورة الصلاة):

سميت بذلك في قوله ﷺ عن ربه: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي
نصفين، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله: حمدني عبدي..
الحديث.

فسميت الفاتحة صلاة؛ لأنها شرط فيها. وقال الزمخشري في تعليل
تسميتها بالصلاة؛ لأنها تكون فاضلة أو مجزئة بقراءتها فيها^(١).

(١) تفسير القرطبي (١/١١١)، وابن كثير (٨/١)، والزمخشري (١/٩٩).

أو لعلها سميت بذلك لأنها لا تجزيء إلا بها، على قول الجماهير.

٦- المثاني - أو السبع المثاني.

أما السبع المثاني فلأنها سبع آيات في قول الجماهير.

وأما المثاني: فقد سميت بذلك لأنها تتلى في كل صلاة من فرض وتطوع.

وقيل: لأنها استثنيت لهذه الأمة، فلم تنزل على أحد قبلها ذخراً لها^(١).
وليس في تسميتها بالمثاني ما يمنع من تسمية غيرها بها، كما قال تعالى:
﴿كَتَبْنَا مُنَشِّدَهَا مَثَانِي﴾ [الزمر: ٢٣]، فأطلق على كتابه مثاني؛ لأن الأخبار تتلى فيه،
قال أعشى همدان:

فلجوا المسجد وادعوا ربيكم * وادرسوا هذه المثاني والطول

٧- الرقية:

ثبت ذلك من حديث أبي سعيد الخدري - وفيه أن رسول الله ﷺ قال
للرجل الذي رقى سيد الحي: ما أدراك أنها رقية؟

فقال: يا رسول الله شيء ألقى في روعي.. الحديث خرجه الأئمة^(٢).

قال المهلب: إن موضع الرقية منها: ﴿إِيَّاكَ تَبْتُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيثُ﴾ [الفاتحة: ٥]،

وقيل: السورة كلها رقية؛ لقوله ﷺ للرجل لما أخبره: «وما أدراك أنها رقية»،

(١) تفسير القرطبي (١/١١٢)، وابن عطية (١/٦٢).

(٢) تفسير القرطبي (١/١١٣)، وابن كثير (١/٨).

ولم يقل: أن فيها رقية، فدل هذا على أن السورة بأجمعها رقية؛ لأنها فاتحة الكتاب، ومبدؤه، ومتضمنة لجميع علومه.

٨- الشفاء.

قال القرطبي: روى الدارمي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «فاتحة الكتاب شفاء من كل داء»^(١).

وذكر مثل ذلك ابن كثير في تفسيره.

والذي في سنن الدارمي^(٢) من حديث عبد الملك بن عمير قال: قال رسول الله ﷺ: «في فاتحة الكتاب شفاء من كل داء».

٩- الوافية.

قاله سفيان بن عيينة؛ لأنها لا تنتصف، ولا تحمل الاختزال والاختصار، بينما غيرها من السور لو قرأ نصفها في ركعة ونصفها الآخر في ركعة أخرى لأجزأ ذلك، ولو نصفت الفاتحة في ركعتين لم يجز ولم تجزئ^(٣).

١٠- الكافية.

قال يحيى بن أبي كثير: لأنها تكفي عن سواها، ولا يكفي سواها عنها.

(١) تفسير القرطبي (١/١١٢)، وابن كثير (٨/١)، وسنن الدارمي (٢/٤٤٥).

(٢) (٢/٤٤٥).

(٣) تفسير القرطبي (١/١١٣).

يدل عليه ما روى محمد بن خلّاد الاسكندراني، قال: قال النبي ﷺ: «أم القرآن عوض من غيرها وليس غيرها منها عوضاً»^(١).

١١- الأساس.

شكا رجل إلى الشعبي وجع الخاصرة، فقال: عليك بأساس القرآن فاتحة الكتاب، سمعت ابن عباس يقول: لكل شيء أساس... وأساس الكتب القرآن، وأساس القرآن الفاتحة، وأساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم، فإذا اعتللت أو اشتكيت فعليك بالفاتحة تشفى^(٢).

وهكذا بقية الأسماء لكل منها معنى ودلالة تشتمل عليها هذه السورة، وصفات تتضمنها، وليس في تسميتها ببعض هذه الأسماء ما يمنع من تسمية غيرها بها.

المسألة السادسة: ورد في سورة الفاتحة من أسماء الله تعالى الحسنى خمسة أسماء: الله، الرب، الرحمن، الرحيم، المالك.

المسألة السابعة: قراءتها في الصلاة.

اختلف العلماء في وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة على أقوال كثيرة.

فقال مالك وأصحابه: هي متعينة للإمام والمنفرد في كل ركعة^(٣).

(١) تفسير القرطبي (١/١١٣).

(٢) تفسير القرطبي (١/١١٣).

(٣) القرطبي (١/١١٧)، وفيه تفصيل الحكم في تركها ناسياً. هل تبطل صلاته أو لا؟

وعن أحمد والشافعي^(١) أنها متعينة في كل ركعة لكل أحد على العموم^(٢).

وقال ابن الجوزي في تفسيره: نقل الأكثرون عن أحمد أن الفاتحة شرط في صحة الصلاة من تركها مع القدرة عليها لم تصح صلاته، وهو قول مالك والشافعي، وقال أبو حنيفة - لا تتعين وهي رواية عن أحمد^(٣).

وقال الحسن البصري، وأكثر أهل البصرة، والمغيرة بن عبد الرحمن المخزومي المدني: إذا قرأ بأمر القرآن مرة واحدة في الصلاة أجزأه ولم تكن عليه إعادة؟ لأنها صلاة قرأ فيها بأمر الكتاب فهي تامة لقوله -عليه الصلاة والسلام-: «لا صلاة لمن لم يقرأ بأمر القرآن» وهو قد قرأها.

غير أن مذهب أكثر العلماء أن المراد لا صلاة لمن لم يقرأ بها في كل ركعة لأنها من مقومات الركعة وشروطها، فكما أنه لا تنوب ركعة عن ركعة فكذا لا تنوب قراءة عن قراءة.

ومذهب كثير من الأحناف أنه إن ترك قراءة الفاتحة وقرأ غيرها فقد أساء وتجزئه صلاته^(٤).

(١) القرطبي (١/١١٨).

(٢) القرطبي (١/١١٩).

(٣) ابن الجوزي (١/١٨).

(٤) تفسير الجصاص (١/١٨).

وقال القرطبي: "وقال أبو حنيفة والثوري والأوزاعي: إن تركها عامداً في صلاته كلها وقرأ غيرها أجزأه، على اختلاف عن الأوزاعي في ذلك^(١)."

وحجتهم في ذلك:

١ - قوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا يَنْسَرُ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل: ٢٠] فهو عام ولم تحدد فيه الفاتحة.

والمراد هنا القراءة في الصلاة بعامة فرضاً ونفلًا بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ﴾ [المزمل: ٢٠].

٢ - قوله ﷺ للمسيء صلاته: «ثم اقرأ ما تيسر من القرآن».

٣ - قوله تعالى: ﴿أَقِرْ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ السَّنَةِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨] والمراد قراءة القرآن في صلاة الفجر^(٢).

الثامنة: قراءة الفاتحة خلف الإمام.

اختلف العلماء في ذلك على أقوال، أهمها:

١ - القراءة في السرية دون الجهرية.

وهو المشهور من مذهب مالك، وبه قال الشافعي في القديم.

فإن ترك القراءة في السرية فقد أساء ولا شيء عليه عند مالك وأصحابه.

(١) تفسير القرطبي (١/١١٨).

(٢) تفسير القرطبي (١/١١٨).

وذهب ابن العربي من المالكية في كتابه "أحكام القرآن" إلى أن الصحيح: وجوب قراءتها فيما يسر وتحريمها فيما جهر إذا سمع قراءة الإمام^(١).

وحجة هذا القول:

- ١ - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾. [الأعراف: ٢٠٤].
- ٢ - قوله ﷺ في سياق نهيه عن القراءة خلفه في الصلاة الجهرية: «ما لي أنازع في القرآن»^(٢).

٣ - قوله ﷺ في الإمام: «إذا قرأ فأنصتوا».

٤ - وقوله ﷺ: «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة».

٢ - القول الثاني: أن المأموم لا يقرأ شيئاً سواء جهر إمامه أو أسر.

قاله: ابن وهب، وأشهب، وابن عبد الحكم، وابن حبيب، والكوفيون.

وحجة هذا القول:

- ١ - قوله ﷺ: «فقراءة الإمام له قراءة»، فيؤخذ على عمومته.
- ٢ - قول جابر ؓ: «من صلى ركعة لم يقرأ فيها بأم القرآن فلم يصل إلا وراء إمام».

(١) ابن العربي (٥/١).

(٢) تفسير القرطبي (١١٨/١).

٣- القراءة في كل حال، سواء أسر الإمام أو جهر.

قال القرطبي في تفسيره: (وقال الشافعي - فيما حكى عنه البويطي - وأحمد بن حنبل: لا تجزيء أحداً صلاة حتى يقرأ بفاتحة الكتاب في كل ركعة إماماً كان أو مأموماً جهر إمامه أو أسر^(١)).

- وكان الشافعي في العراق يقول في المأموم: يقرأ إذا أسر، ولا يقرأ إذا جهر.

وحجة هذا القول - وهو ما رجحه القرطبي -:

- ١ - قوله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب».
- ٢ - قوله ﷺ: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج»^(٢) (ثلاثاً).

٣ - قول أبي هريرة رضي الله عنه: «أمرني رسول الله ﷺ أن أنادي أنه: لا صلاة إلا بقراءة فاتحة الكتاب فما زاد» أخرجه أبو داود.

٤ - أنه كما لا ينوب سجود ركعة ولا ركوعها عن ركعة أخرى، فكذلك لا تنوب قراءة ركعة عن غيرها.

٥ - ما روي عن عمر بن الخطاب، وعن عبدالله بن عباس، وأبي هريرة، وأبي بن كعب، وأبي أيوب الأنصاري، وعبدالله بن عمرو بن

(١) تفسير القرطبي (١/١١٨).

(٢) الخداج: النقصان.

العاص، وعبادة بن الصامت، وأبي سعيد الخدري، وعثمان بن أبي العاص، وخوّان بن جبير أنهم قالوا: لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب. قال القرطبي بعد أن عدّ هؤلاء ترجيحاً لقولهم: فهؤلاء الصحابة بهم القدوة وبهم الأسوة كلهم يوجبون الفاتحة في كل ركعة^(١).

٦- ما أخرجه ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ في كل ركعة بالحمد لله، وسورة في فريضة أو غيرها.

٧- ما جاء في الحديث: «أن النبي ﷺ صلى بعض الصلوات التي يجهر فيها بالقراءة فالتبست عليه فلما انصرف أقبل علينا بوجهه فقال: هل تقرأون إذا جهرت بالقراءة، فقال بعضنا: إنا نصنع ذلك. قال: فلا، وأنا أقول مالي ينازعني القرآن فلا تقرأوا بشيء من القرآن إذا جهرت إلا بأمر القرآن».

أخرجه الدارقطني وقال: هذا إسناد حسن، ورجالهم كلهم ثقات. وأخرج الترمذي عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» كما تقدم في رقم (١) وقال: حديث عبادة حديث حسن صحيح.

(١) تفسير القرطبي (١/١١٩).

ثم قال: والعمل على هذا الحديث في القراءة خلف الإمام عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ والتابعين. وهو قول مالك بن أنس، وابن المبارك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، يرون القراءة خلف الإمام^(١). وهو - أيضاً - قول عبد الله بن عوف، وأيوب السختياني، وأبي ثور وغيره من أصحاب الشافعي، وداود بن علي، وروى مثله عن الأوزاعي، وابن عمر، وبه قال مكحول، وإليه يميل البخاري فقد ألف رسالة سماها: خير الكلام في القراءة خلف الإمام.

وقد ناقش هؤلاء أدلة المخالفين، فقالوا:

١ - أن قوله ﷺ: «وإذا قرأ فأَنْصَتُوا».

من زيادة سليمان التيمي عن قتادة حيث لم يتابع عليها؛ ولذا قال الدارقطني: هذه اللفظة لم يتابع سليمان التيمي فيها عن قتادة وخالفه الحفاظ من أصحاب قتادة فلم يذكروها، منهم: شعبة، وهشام، وسعيد بن أبي عروبة، وهمام، وأبو عوانة، ومعمر، وعدي بن أبي عمارة. قال الدارقطني: فإجماعهم يدل على وهمه.

وأخرج هذه الزيادة من حديث أبي هريرة، وقال: هذه الزيادة - إذا قرأ فأَنْصَتُوا - ليست بمحفوظة^(٢).

(١) بنحوه في الترمذي (٢٦/٢).

(٢) القرطبي (١٢١/١)، والدارقطني (٣٢٨/١)، وانظر: (٣٣٠-٣٣١).

غير أن مسلم صحح هذا الحديث، وصحح الزيادة الإمام أحمد وابن المنذر.

ثم إنه لم ينفرد بها بل تابعه عليها أبو سعيد محمد بن سعد الأنصاري الأشهل المدني نزيل بغداد.

٢- أما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

قالوا: إنها نزلت بمكة، وتحريم الكلام في الصلاة نزل بالمدينة - كما قال زيد بن أرقم - فلا حجة فيها. لكن هذا رد ضعيف.

قال القرطبي: وقد روى الدارقطني عن أبي هريرة أنها نزلت في رفع الصوت خلف رسول الله ﷺ.

وأما قوله ﷺ: «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة».

فهو ضعيف؛ لأنه من إسناد الحسن بن عمار، وهو متروك.

ثم هو مرسل. وفي الاحتجاج بالمراسيل خلاف.

أما قول جابر: «من صلى ركعة لم يقرأ فيها بأم القرآن فلم يصل إلا وراء الإمام».

فهو موقوف على جابر.

على أن قوله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» عام، وإن كان قد

حصل فيه خلاف: هل يحمل هذا النفي على التمام والكمال، أو على الإجزاء؟

الترجيح:

مما سبق يتضح الخلاف في هذه المسألة، وأنه قديم وكبير، كما أنه خطير، وأن لكل دليله.

ولعل الراجح -والله أعلم- القراءة بها على الإمام، والمنفرد، والمأموم في الصلاة السرية، والمأموم في الصلاة الجهرية -أيضاً- لكن تكون قراءته في سكتات الإمام^(١).

فمن فقه الإمام السكتات. قال سمرة رضي الله عنه: كان للنبي ﷺ سكتتان، سكتة حين يكبر، وسكتة حين يفرغ من قراءته.

وبهذا تجتمع الأدلة ويتحقق العمل بها جميعاً، وإلا فما فائدة قراءة الإمام جهراً، ولمن يقرأ مادام من خلفه مشغول بقراءته هو. والله أعلم.

المسألة التاسعة:

مذهب الجمهور إلى أن ما زاد على الفاتحة من القراءة ليس بواجب. لما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: في كل صلاة قراءة، فما أسمعنا النبي ﷺ أسمعناكم، وما أخفى هنا أخفينا منكم، فمن قرأ بأم القرآن فقد أجزأت عنه، ومن زاد فهو أفضل. وفي البخاري: وإن زدت فهو خير.

(١) خير الكلام في القراءة خلف الإمام، للبخاري (ص ١٣).

والمستحب ألا يقرأ مع فاتحة الكتاب إلا سورة واحدة لأنه الأكثر مما جاء عن النبي ﷺ.

وقال الثوري: يقرأ في الركعتين الأوليين بفاتحة الكتاب وسورة، ويسبّح في الآخرين إن شاء، وإن شاء قرأ، وإن لم يقرأ ولم يسبح جازت صلاته. وهو قول أبي حنيفة، وسائر الكوفيين. والأول أولى.

المسألة العاشرة:

أن على المسلم الاجتهاد في تعلّم وحفظ الفاتحة، وشيء من القرآن. أما من عجز عن ذلك، فقد قال القرطبي في حكم ذلك: (من تعذر ذلك عليه بعد بلوغ مجهوده فلم يقدر على تعلم الفاتحة أو شيء من القرآن، ولا علق منه بشيء، لزمه أن يذكر الله في موضع القراءة بما أمكنه من تكبير، أو تهليل، أو تحميد، أو تسبيح، أو تمجيد، أو: لا حول ولا قوة إلا بالله. إذا صلى وحده أو مع الإمام فيما أسر فيه الإمام. فقد روى أبو داود وغيره عن عبد الله بن أبي أوفى قال:

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني لا أستطيع أن آخذ من القرآن شيئاً فعلمني ما يجزئني منه، قال: قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله

أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: يا رسول الله، هذه لله، فما لي؟ قال: قل اللهم ارحمني وعافني واهدني وارزقني^(١).

فإن عجز عن ذلك، فليلزم الصلاة مع الإمام جهده، فالإمام يحمل عنه ذلك إن شاء الله. وعليه أن يستمر في الاجتهاد في تعلم فاتحة الكتاب حتى الوفاة، فيعذره الله إن شاء الله.

ومن لم يواته لسانه إلى التكلم بالعربية من الأعجمين ترجم له الدعاء العربي بلسانه الذي يفهمه لإقامة الصلاة، فإن ذلك يجزئه إن شاء الله تعالى. غير أن الجهد المبذول ينبغي أن يكون لحفظ الفاتحة، وحفظها بل حفظ القرآن سهل ميسر وشواهد ذلك مشاهدة، وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧].

المسألة الحادية عشرة:

لا تجزي صلاة من قرأ بالفارسية وهو يحسن العربية في قول الجمهور. وقد شد أبو حنيفة في إجازة ذلك -كما نقل القرطبي- بعله أن المقصود إصابة المعنى.

قال ابن المنذر: لا يجزئه ذلك لأنه خلاف ما أمر الله به، وخلاف ما علم ﷺ، وخلاف جماعات المسلمين، ولا نعلم أحداً وافقه على ذلك^(٢).

(١) القرطبي (١/١٢٥-١٢٦).

(٢) القرطبي (١/١٢٦).

المسألة الثانية عشرة:

أن ابن مسعود - قيل - إنه ترك كتابتها في مصحفه.
 فقيل له: لم لم تكتب فاتحة الكتاب في مصحفك؟ فقال: لو كتبتها لكتبتها
 مع كل سورة.

وبيّن أبو بكر الأنباري مراده بقوله: يعني أن كل ركعة سبيلها أن تفتح
 بأم القرآن قبل السورة المتلوة بعدها. فقال: اختصرت بإسقاطها، ووثقت
 بحفظ المسلمين لها، ولم أثبتها في موضع فيلزمي أن أكتبها مع كل سورة إذ
 كانت تتقدمها في الصلاة^(١).

فتركه كتابتها من شدة تعظيمه لها، وأنه لو كتبها لكتبها في كل شيء
 ولأنها لا تحتاج في نظره إلى كتابة فكل مسلم يحفظها؛ ولأنه ﷺ يرى أن القرآن
 إنما كتب وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان والزيادة والنقصان. ورأى
 أن ذلك لا يجوز على سورة الحمد؛ لقصرها، ولأنها تشنّى في كل صلاة، وكل
 ركعة، ولأنه لا يجوز لأحد من المسلمين ترك تعلمها وحفظها، كما يجوز له ترك
 تعلم غيرها وحفظه إذا كانت لا صلاة إلا بها، فلما أمن عليها العلة التي من
 أجلها كتب المصحف ترك كتابتها ليس غير^(٢).

(١) القرطبي (١/١١٤-١١٥).

(٢) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (٤٩).

القول في الاستعاذة

أمر الله سبحانه وتعالى بالاستعاذة عند أول كل قراءة، فقال: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

أي: إذا أردت أن تقرأ، فأوقع الماضي موقع المستقبل لثبوته كما قال الطرماح:

وَإِذَا لَاتِيكُمْ تَشْكُرُ مَا مَضَى مِنْ * الْأَمْرِ وَاسْتِجَابَ مَا كَانَ فِي غَدٍ
أَرَادَ مَا يَكُونُ فِي غَدٍ.

وقد اختلفوا في حكم التعوذ.

فالجماهير على استحسان ذلك والتزامه في كل قراءة في غير الصلاة.
حكى الزهري^(١) والحسن قال: نزلت الآية في الصلاة وندبنا إلى الاستعاذة في غير الصلاة وليس بفرض^(٢).
وقال ابن كثير: وجهور العلماء على أن الاستعاذة مستحبة ليست بمتحمة يأثم تاركها^(٣).

(١) جاء في تفسير القرطبي (٨٨/١): الزهراوي، وهو تحريف لأنه ينقل عن ابن عطية، والذي

في تفسير ابن عطية (٤٨/١) الزهري عن الحسن.

(٢) ابن عطية (٤٨/١)، القرطبي (٨٤/١).

(٣) ابن كثير (١٤/١)، والفخر الرازي (٦٠/١).

وحكى النقاش والرازي عن عطاء بن أبي رباح: أن الاستعاذة واجبة لكل قراءة سواء كانت في الصلاة أو في غيرها أخذاً بظاهر الأمر، وحملاً له على الوجوب ولمواظبة النبي ﷺ عليها، ولأنها تدرأ شر الشيطان ودفع شره واجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولأن الاستعاذة أحوط، وهو أحد مسالك الوجوب كما ذكر ذلك ابن كثير.

وذكر أبو الليث السمرقندي عن بعض المفسرين: أن التعوذ فرض، فإذا نسيه القاريء وذكره في بعض الحزب قطع وتعوذ ثم ابتداء من أوله. وبعضهم يقول: يستعيذ ثم يرجع إلى موضعه الذي وقف عليه. قال القرطبي: وبالأولى قال أسانيد الحجاز والعراق، وبالثاني قال أسانيد الشام ومصر^(١).

وقال ابن سيرين: إذا تعوذ مرة واحدة في عمره كفى في إسقاط الوجوب.

وقال بعضهم: كانت الاستعاذة فرضاً على النبي ﷺ وحده، ثم تأسينا به. أما التعوذ في الصلاة فقد اختلفوا فيه:

فابن سيرين، والنخعي، وقوم يتعوذون في الصلاة في كل ركعة حملاً للأمر بالاستعاذة على الوجوب والعموم. وأبو حنيفة والشافعي يتعوذان في الركعة الأولى من الصلاة، ويريان أن قراءة الصلاة كلها كقراءة واحدة.

(١) القرطبي (١/٨٦)، والإتقان: (١/٣٦٤).

ومالك: لا يرى التعوذ في الصلاة المفروضة، ويراه في قيام رمضان أو في النافلة.

وقد ذكر ابن عطية في تفسيره: أنه لم يحفظ عن النبي ﷺ أنه تعوذ في صلاة.

وهذا الكلام متعقب بما روي عن النبي ﷺ: «أنه كان يتعوذ في صلاته قبل القراءة».

قال ابن العربي بعد أن ساق هذا الحديث: وهذا نص في الرد على من يرى القراءة قبل الاستعاذة بمطلق ظاهر اللفظ وهو رد على ما ذكره ابن عطية -أيضاً-.

كما أخرج الترمذي في سننه، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة من حديث أبي سعيد الخدري، قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة بالليل كبر، ثم يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك، ثم يقول: الله أكبر كبيراً، ثم يقول: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه (١).

ثم قال أبو عيسى: وفي الباب عن علي، وعائشة وعبد الله بن مسعود، وجابر، وجبير بن مطعم وابن عمر.

قال أبو عيسى: وحديث أبي سعيد أشهر حديث في هذا الباب، وقد أخذ قوم من أهل العلم بهذا الحديث...

(١) سنن الترمذي (١/٩-١٠).

ثم ذكر أنه قد تكلم في إسناد هذا الحديث لأن في سنده علي بن علي الرفاعي، ثم قال: وقال أحمد لا يصح هذا الحديث.

وتعقب ذلك الشيخ أحمد شاكر - في الحاشية - فصحح الحديث، ونقل توثيق العلماء لعلي بن علي الرفاعي.

وهذا الحديث أخرجه الدارمي (٢٨٢/١)، وذكره ابن كثير في تفسيره، ثم قال: (وقد رواه أهل السنن الأربعة).

كما أخرج أبو داود وابن ماجه في سننهما نحوه من حديث جبير بن مطعم.

وقد قال ابن العربي: ولم يثبت عندنا أن أحداً من أئمة الأمة ترك الاستعاذة، فإنه أمر بفعل سراً، فكيف يعرف جهراً^(١).

وقد تقدم في الأحاديث بيان ذلك.

صبيغ الاستعاذة^(٢).

للاستعاذة صبيغ عدة، أشهرها:

١ - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

وهذا اللفظ هو الذي عليه الجمهور من العلماء؛ لأنه لفظ الكتاب في

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨].

(١) ابن العربي (٣/١١٧٥)، والقرطبي (١/٨٧).

(٢) يراجع: النشر (١/٢٤٣-٢٥٢).

ولحديث سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: استب رجلان عند رسول الله ﷺ ونحن عنده جلوس وأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمر وجهه، فقال ﷺ: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

بل حكى أبو طاهر بن سوار، وأبو العز القلانسي وغيرهما الاتفاق على هذا اللفظ بعينه ^(١).

وقال السخاوي في كتابه (جمال القراء): غنه: إنه الذي عليه إجماع الأمة، وقال أبو عمرو الداني: إنه المستعمل عند الخذاق دون غيره وهو المأخوذ به عند عامة الفقهاء؛ كالشافعي وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم - غير أن حكاية الاتفاق والإجماع غير مسلمة فهناك ألفاظ أخرى قيل بها.

ولذا قال ابن الجزري: دعوى الإجماع على هذا اللفظ بعينه مشكلة والظاهر أن المراد على أنه المختار، فقد ورد تغيير هذا اللفظ والزيادة عليه والنقص منه كما سنذكره ونبين صوابه ^(٢).

٢- أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وفي رواية زيادة: من همزه، ونفته، ونفخه.

وهمزه: الجنون، ونفته: السحر، ونفخه: الكبر.

وقيل: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم.

(١) القرطبي (١/٨٦-٨٨).

(٢) ابن الجزري (٢٤٦٨).

رجحه بعضهم لأن فيه جمعاً بين الآيتين، وهما:

١ - قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

٢ - وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٦].

٣ - وفي آية أخرى: ﴿وَلَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

روي هذا عن أحمد وغيره^(١).

٣ - أستعيذ، ونستعيذ واستعذت بالله من الشيطان الرجيم. قاله حمزة الزيات، ورجحه بعضهم - وهو صاحب الهداية من الحنفية - لأنه المطابق للفظ القرآن.

على أن ابن الجزري حكم بعدم صحة هذه الرواية عن حمزة.

كما نقل النقاش القول بأن قولك: أستعيذ موافق للآية بما ملخصه:

أن أستعيذ معناه أطلب العيادة. أما أعوذ فهي امثال لها^(٢).

فأبدع وأمتع.

٤ - وقيل: أعوذ بالله القادر من الشيطان الغادر. قاله حميد بن قيس.

٥ - وعن أبي السماك: أعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي. وحكم ابن

(١) الفخر الرازي (١/٦١).

(٢) ابن الجزري (١/٢٢٦-).

الجوزي بعدم صحة ذلك^(١).

وغير ذلك، ولذلك قال ابن عطية: (وأما المقرئون فأكثرُوا في هذا من تبديل الصفة في اسم الله تعالى، وفي الجهة المقابلة، كقول بعضهم: أعوذ بالله المجيد من الشيطان المريد، ونحو هذا مما لا أقول فيه: نعمت البدعة، ولا أقول: إنه لا يجوز)^(٢).

وقال الحلواني في جامعه: ليس للاستعاذة حد ينتهي إليه، من شاء زاد، ومن شاء نقص^(٣).

وقت الاستعاذة:

الجمهور على أن الاستعاذة عند بداية القراءة، وأن المراد بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨] أي: إذا أردت قراءة القرآن، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة. وكقولك: إذا أكلت فسم الله^(٤).

وذهب بعضهم إلى أن الاستعاذة بعد القراءة أخذاً بظاهر قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

(١) الإتيان (٣٦٥/١)، النشر (٢٤٩/١).

(٢) ابن عطية (٩/١).

(٣) النشر في القراءات العشر (٢٤٣/١).

(٤) ابن العربي (٣/١١٧٥-)، الفخر الرازي (١/٥٩-)، القرطبي (١/٨٨-).

ولأن هذا موافق لما في العقل لأن من قرأ القرآن فقد استحق الثواب العظيم، فلو دخله العجب في أداء تلك الطاعة سقط ذلك الثواب. فإن من المهلكات ومسقطات ثواب الأعمال إعجاب المرء بنفسه وعمله، فكان عليه أن يستعيز بالله من الشيطان بعد تمام قراءته حتى لا يحمل الشيطان على ما يسقط به ثواب طاعته.

وهذا قول النخعي، وأبي هريرة، وداود، وإحدى الروایتين عن ابن سيرين، وروى مالك في المجموعة في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨] قال: ذلك بعد قراءة أم القرآن لمن قرأ في الصلاة^(١).

وقد ضعف هذا القول ابن العربي بقوله: (انتهى العبيّ بقوم إلى أن قالوا إن القاريء إذا فرغ من قراءة القرآن حينئذ يستعيز بالله من الشيطان الرجيم). كما استغرب تلك الرواية عن الإمام مالك وشكك فيها حين قال بعد أن ساقها: (وهذا قول لم يرد به أثر، ولا يعضده نظر، فإننا قد بينا حكم الآية، وحقيقتها فيما تقدم، ولو كان هذا كما قال بعض الناس إن الاستعاذة بعد القراءة لكان تخصيص ذلك بقراءة أم القرآن في الصلاة دعوى عريضة لا تشبه أصول مالك، ولا فهمه، والله أعلم بسر هذه الرواية)^(٢).

(١) ابن العربي (٣/١١٧٥).

(٢) ابن العربي (٣/١١٧٦).

كما جزم ابن الجزري بعدم صحة نسبة هذه الأقوال إلى قائلها، وأن الاستعاذة قبل القراءة إجماعاً^(١).

والأول هو الراجح.

لورود الأحاديث في ذلك، ومنها ما روي عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ كان يتعوذ في صلاته قبل القراءة.

وتقاس القراءة في غير الصلاة عليها، ولهذا قال ابن العربي بعد أن ساق هذا الحديث: (وهذا نص في الرد على من يرى القراءة قبل الاستعاذة بمطلق ظاهر اللفظ).

ولعدم وجود مانع من أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨] إذا أردت قراءة القرآن، كما هو في نظائره، ولما فيه من توفيق بين الآية والأحاديث الأخرى.

ولما في ذلك من المناسبة العقلية والنقلية من أن المقصود من الاستعاذة نفي وساوس الشيطان عند القراءة.

كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَعَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ [الحج: ٥٢] والمعنى: إلا إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته..^(٢).

ولذا كان تقديم الاستعاذة دفعا لهذه الوسوسة.

(١) راجع (١/٢٥٢-).

(٢) ابن العربي (٣/١١٧٥-)، والفخر الرازي (١/٦٠).

وذهب الفخر الرازي إلى قول ثالث: أن الاستعاذة قبل القراءة بمقتضى الخبر، وبعدها بمقتضى ظاهر الآية؛ جمعاً بين الدليلين بقدر الإمكان^(١).

إعراب الاستعاذة:

أعوذ: فعل مضارع والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره: أنا. وهو فعل معتل أجوف لأن عين الفعل واو.

والأصل: أَعُوذُ على وزن أَفْعُل فاستثقلت الضمة على الواو فنقلت إلى العين فصارت أعوذ.

بالله: جار ومجرور متعلق بأعوذ.

من الشيطان: جار ومجرور متعلق بأعوذ—أيضاً.

ومن لا ابتداء الغاية.

الرجيم: نعت للشيطان.

وجملة الاستعاذة ابتدائية لا محل لها من الإعراب.

هل يجهر أو يسر بها؟

المختار عند أئمة القراءة الجهر بها.

وقيل: يسر مطلقاً.

وقيل: يسر فيما عدا الفاتحة.

والأولى: اختيار الجهر بها شريطة أن يكون ذلك بحضرة من يسمعه.

(١) الفخر الرازي (١/٦٠).

لأنها شعار القراءة وعلامتها، ومن فوائد ذلك أن السامع ينصت للقراءة، من أولها لا يفوته منها شيء، وإذا أخفى التعوذ لم يعلم السامع بالقراءة إلا بعد فوات شيء من المقروء.

واختلف المتأخرون بالمراد بإخفائها.

فالجمهور على أن المراد به الإسرار، فلا بد من التلفظ بها وإسماع نفسه.

وقيل: المراد ذكرها بقلبه من غير تلفظ.

أعوذ: أي ألوذ وألتجىء وأستجير بالله من الشيطان الرجيم.

الشيطان:

اختلف في أصل اشتقاقه لغة.

-فقليل: الشيطان على وزن فيعال، واحد الشياطين، والنون فيه أصلية، لأنه من شَطَنَ بمعنى: بعد؛ لأنه بعيد عن الخير، وعن رحمة الله أو لبعده مذهبه في الشر. يقال: شطنت داره أي: بعدت، قال النابغة أو الأعشى:

نأت بسعادتك نوى شطون * فبانت والفؤاد بهارهم

ويقال: بثر شطون، إذا كانت بعيدة القعر.

ومنه قيل للجبل شَطَنَ لبعده طرفيه وامتداده.

فسمي الشيطان شيطاناً لبعده عن الحق وعن رحمة الله، وتمرده، وذلك أن كل عات متمرّد من الجن أو الإنس أو الدواب يقال له شيطان، ولذا قال جرير:

أيام يدعوني الشيطانَ من غَزَلٍ * وهنّ يهوينني إذ كانت شيطاناً

القول الثاني:

أنه شيطان مأخوذ من شاط يشيط إذا هلك، وهاج وأحرق، ونحو ذلك.

يقال: اشتاط الرجل إذا احتد غضباً، واشتاط إذا هلك، قال الأعشى:
قد تخضب العير من مكنون فائله * وقد يشيط على أرماحنا البطل^(١).
أي: يهلك. فالنون على هذا القول زائدة^(٢).

وهذا القول مردود بما حكاه سيبويه من أن العرب تقول:
تشيطن فلان، إذا فعل أفعال الشياطين.
فهذا بين أنه تفعيل من شطن، لا من شاط لأنه لو كان من شاط لقليل:
تشيط، ويرد عليهم أيضاً بقول أمية بن أبي الصلت في ذكر ما أوتي سليمان ﷺ:
أيما شاطن عصاه عكاه * ورماه في السجن والأغلال
عكاه يعكوه في الحديد أي قيده وشده.

الرجيم: وصف للشيطان كما قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ مِنْهَا فِرْعَانَكَ رَجِيمًا﴾
[الحجر: ٣٤].

والرجيم على وزن فاعيل بمعنى مفعول أي المرجوم، كقتيل بمعنى
مقتول، وجريح بمعنى مجروح. ومن معاني الرجم: القتل واللعن والطرده

(١) العير: حمار الوحش. والفائل: عرق. ومكنونه: الدم

(٢) القرطبي (١/٩٠)، ابن عطية (١/٤٩)، الماوردي (١/٢٥٢).

والشتم. وقد قيلت هذه الأقوال في تفسير قوله تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنْتُحَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦].

والشيطان ملعون، مطرود من رحمة الله، مشؤوم ومشتوم -أعاذنا الله من وساوسه وشره-، قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهَا لَيْلًا رَجِيمًا﴾ [الحجر: ٣٤].
 وقيل: رجم بمعنى راجم على وزن فاعل؛ لأنه يرجم غيره بالدواهي والبلايا وصنوف التضليل والإغواء.
 وكلا المعنيين يصدقان عليه فهو مرجوم مطرود من رحمة الله، وراجم لغيره بالوسوسة والإغواء.

بسم الله الرحمن الرحيم

ابتداؤها:

يروى أن قريشاً كانت تكتب في أول كتاباتها: (باسمك اللهم) وأن أمية بن أبي الصلت أول من كتب ذلك. وقد جاء في قصة صلح الحديبية أن سهيل بن عمرو أبى إلا كتابتها، فكتبت.

وروى ابن سعد في طبقاته أن رسول الله ﷺ كان يكتب كما تكتب قريش: (باسمك اللهم) حتى نزل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ أَزْكِبُ أَفَبِهَا بِسْمِ اللَّهِ يُجْرِنَهَا وَمُرْسَتْهَا﴾ [هود: ٤١] فكتبت: بسم الله الرحمن.

حتى نزل قوله تعالى في سورة النمل: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠] فكتبها: بسم الله الرحمن الرحيم.

هل البسمة آية أولاً؟

اختلف العلماء في هذه المسألة على نحو عشرة أقوال، منها:

الأول: أنها ليست بآية لا من الفاتحة ولا من غيرها من السور.

قاله مالك وأبو حنيفة وأصحابهما، وهو قول قراء المدينة والبصرة والشام وفقهائهم، وأنها كتبت للفصل بين السور، والتبرك بها، كما بدىء بذكرها في كل أمر ذي بال.

الثاني: أنها آية من كل سورة إلا براءة.

قاله عبدالله بن المبارك، وحكى عن ابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وأبي هريرة، وعلي، ومن التابعين: عطاء، وطاووس، وسعيد بن جبير، ومكحول، والزهري. وبه يقول عبدالله بن المبارك، والشافعي، وأحمد في رواية عنه، وإسحاق بن راهويه، وأبو عبيد القاسم بن سلام، ولذلك يجهر بها الشافعية في الصلاة^(١).

وقد روي عن ابن عباس قوله: من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله.

وعلى هذه الرواية فهي آية من سورة براءة. وحجتهم أن السلف أثبتوها في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن من غيره، ولذلك لم يثبتوا [آمين] في المصحف. فلولا أنها من القرآن لم يثبتوها.

وقد قال ابن عطية في تفسيره عن هذا القول - بعد أن نسبه إلى ابن المبارك - فقط: (وهذا قول شاذ رد الناس عليه)^(٢).

الثالث: أنها آية من الفاتحة. قاله الشافعي وتردد قوله في سائر السور.

قال ابن كثير في تفسيره:

(١) ابن كثير (١/١٦).

(٢) ابن عطية (١/٥٣).

(وقال الشافعي في بعض طرق مذهبه هي آية من الفاتحة وليست من غيرها. وعنه أنها بعض آية من أول كل سورة، ثم قال: وهما غريبان)^(١).
وكونها آية من الفاتحة فقط لأنها أعطيت فيها رقماً.

الرابع: هي آية مستقلة في أول كل سورة لا منها.

قاله داود. وهو رواية عن أحمد، وحكاها أبو بكر الرازي عن أبي الحسن الكرخي، وهما من كبار أصحاب أبي حنيفة.
- ولا خلاف أنها جزء من آية من القرآن في سورة النمل في قوله تعالى:
﴿إِنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمَنَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠].

الخلاصة:

- ١ - أنها ليست آية.
- ٢ - أنها آية من جميع السور غير براءة.
- ٣ - أنها آية من الفاتحة دون غيرها.
- ٤ - أنها آية مستقلة في أول كل سورة.
- عدت البسمة آية في الكوفي والمكي ولم تعد ﴿أَنفَتَ عَلَيْهِمْ﴾ آية. وعكسه في المدني والبصري والشامي.

(١) ابن كثير (١/١٦)، والنشر (١/٢٧٠).

الترجيح:

رجح الفخر الرازي أنها آية وساق على ذلك ست عشرة حجة، ورجح الألوسي أنها ليست بآية ونقض حجج الرازي.

ولعل الراجح - والله أعلم - أنها ليست بآية؛ للآتي:

١ - أن القرآن لا يثبت بأخبار الآحاد وإنما طريقه التواتر القطعي الذي لا يختلف فيه.

يقول ابن العربي: (ويكفيك أنها ليست من القرآن اختلاف الناس فيها، والقرآن لا يختلف فيه).

٢ - الأخبار الصحيحة الدالة على أن البسملة ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها إلا في النمل وحدها، منها:

١ - ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله ﻻ: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدني ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال العبد: الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: أثني عليّ عبدي، وإذا قال العبد: مالك يوم الدين، قال: مجدني عبدي، وإذا قال العبد: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدني ما سأل.

فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال: هذا لعبدي ولعبدني ما سأل.

ووجه الدلالة في هذا الحديث:

أن الله سبحانه وتعالى قال: قسمت الصلاة، يريد الفاتحة، وسماها صلاة؛ لأن الصلاة لا تصح إلا بها.

وأنه جعل الثلاث الآيات الأول لنفسه، فاختص بها تبارك اسمه، ولم يختلف المسلمون فيها.

والآية الرابعة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] جعلها بينه وبين عبده لأن قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] تضمن تذلل العبد. وهذا لله، وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] تضمن طلب الاستعانة منه. وهذا للعبد.

ثم ثلاث آيات تنمة السبع جعلها للعبد.

ومما يدل على أن الباقي ثلاث آيات قوله في بعض الروايات: (هؤلاء لعبدي)، ولم يقل هاتان. فدل ذلك على أن قوله: ﴿أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]؛ آية مستقلة؛ ولهذا نجدها آية في بعض المصاحف كمصاحف المغاربة، فلم يعطوا البسملة رقماً.

فثبت بهذه القسمة التي قسمها الله تعالى أنها سبع، وأن البسملة ليست منها، وإذا ثبت أن البسملة ليست من الفاتحة التي أعطيت فيها رقماً، فكونها ليست بآية من بقية السور أولى وأظهر.

٢- قوله ﷺ لأبي: كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة، فقال: فقرأت الحمد

لله رب العالمين حتى آخرها، فلم يقرأ البسملة وأقره الرسول ﷺ على ذلك.

٣- ومن الأدلة على أنها ليست آية تكرارها في الفاتحة في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ

الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١].

على أن العلماء قد أجمعوا على صحة صلاة من جهر بالبسملة، ومن أسر، والله الحمد والمنة^(١).

٤- ما رواه مسلم عن أنس بن مالك قال: صليت خلف النبي ﷺ، وأبي بكر، وعمر، فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم لا في أول القراءة ولا في آخرها.

كتابتها في كتب العلم.

اتفقت الأمة على جواز كتابتها في أول كل كتاب من كتب العلم والرسائل.

أما دواوين الشعر فروي عن الشعبي قوله: أجمعوا ألا يكتبوا أمام الشعر (بسم الله الرحمن الرحيم).

وقال الزهري: مضت السنة ألا يكتبوا في الشعر (بسم الله الرحمن الرحيم).

وذهب إلى كتابتها سعيد بن جبير، وتابعه أكثر المتأخرين، قال أبو بكر الخطيب: وهو الذي نختاره ونستحبه. وهو الأولى إن شاء الله.

(١) ابن كثير (١/١٧).

- ندب الشرع إلى البسملة في أول كل فعل؛ كالأكل، والشرب، والطهارة، والذبح، وغير ذلك.

وروي في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «أغلق بابك واذكر اسم الله، وأطفئ مصباحك، واذكر اسم الله، وخمر إناءك واذكر اسم الله، وأوك سقاءك واذكر اسم الله».

بسم الله الرحمن الرحيم

(بسم):

اختلف علماء اللغة في اشتقاق الاسم على قولين:

١- أنه مشتق من السمو والعلو والرفعة؛ لأن الاسم يسمو بالسمى

فيرفعه عن غيره؛ إذ أن في التسمية تنويه بالسمى وإشادة بذكره.

وهو قول البصريين، وبه قال الزجاج وأنشد قول عمرو بن معدي

كرب:

إذا لم تستطع أمراً فدعه * وجاوزه إلى ما تستطيع

وصله بالزماع فكل أمر * سمالك أو سموت له ولوع

والزماع: المضاء في الأمر والعزم عليه.

وعلى ما تقدم ف(اسم) على وزن (افع) إذ المحذوف لام الاسم والأصل:

سمو على وزن: فعل.

٢- أنه مشتق من السمة، وهي العلامة؛ لأن الاسم علامة لمن وضع له،

ففيه تمييز له عن غيره.

فأصل الاسم على هذا: وسم، فالمحذوف فاء الاسم، فهو إذاً على وزن

(اعل).

قاله الفراء وهو مذهب الكوفيين^(١).

(١) الماوردي (٢٠٨/١)، وابن عطية (٥٥/١)، والقرطبي (١٠١/١).

والأول أصح لأنه يقال في التصغير: سُمِّيَ، وفي الجمع: أسماء.

والجمع والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها.

على أن المعنى والتعليل في قول الكوفيين جيد لكنه مردود بالجمع

والتصغير لأنه لا يقال في التصغير: وسيم، ولا في الجمع: أوسام^(١).

واختلف علماء اللغة في متعلق الجار والمجرور (بسم) ف قيل:

١ - أنه متعلق بفعل محذوف تقديره (بسم الله) أبتديء أو أقرأ أو آكل أو

أشرب باسم الله. فالجار والمجرور في محل نصب مفعول به مقدم.

٢ - أنه متعلق باسم والتقدير (بسم الله) ابتدائي. فالجار والمجرور

متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، وكلاهما جيد.

وقدم الجار والمجرور في البسملة لإفادة القصر. أي أن طلب العون

والبركة إنما هو من الله وحده.

- أما لماذا لم نقل (بالله الرحمن الرحيم) وقلنا: (بسم الله الرحمن

الرحيم). فذهب أبو عبيدة إلى أن (بسم) صلة زائدة، وأن الأصل بدونها، كما

في قول ليبيد في ديوانه ص ٥٦.

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يك حولاً كاملاً فقد اعتذر

فالمراد: ثم السلام عليكما. ثم قيل في زيادتها أنه إما:

١ - لتعظيم الله وإجلاله. قاله قطرب.

٢ - لدفع توهم القسم وبيان أن المراد قصد التبرك.

(١) ابن عطية (٥٥/١)، والقرطبي (١٠١/١).

والجمهور على أن (بسم) أصل مقصود لأنها غير زائد، وهم الذين اختلفوا في متعلقها.

- حذفت الألف من (بسم) في قولك (بسم الله..) تخفيفاً لكثرة الاستعمال. وأثبتت فيها عدا ذلك نحو قولك (باسم ربك).

- يقال لمن قال (بسم الله) مبسمل، وهي لغة مولدة^(١)، وقد جاءت في الشعر، قال عمر بن أبي ربيعة:

لقد بسملت ليل غداة لقيتها * فيا حبذا ذاك الحبيب المبسمل

الله:

«الله» علم على الرب العظيم تبارك وتعالى، وهو أخص أسمائه سبحانه وتعالى وأجمعها لأنه يوصف بجميع الصفات ولا توصف به قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝۲۲﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝۲۳﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝۲۴﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

فأجرى الأسماء الباقية كلها صفات له، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۝﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۝﴾ [الإسراء: ١١٠].

(١) ذكر ذلك الماوردي في تفسيره، وذكرها غيره ولم يقل أنها مولدة كثعلب والمطرز.

ولذا قال بعض العلماء (أبو حنيفة): إنه اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى.

ولم يتسم به غيره، ولذلك لم يثن ولم يجمع.

وهو أحد تأويلي قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] أي: هل تعلم من تسمى باسمه الذي هو الله.

والثاني: هل تعلم له شبيهاً. وهذا أدل لأنه أعم.

وقد اختلف العلماء هل هذا الاسم مرتجل أو مشتق؟ على قولين:

١ - فقال بعضهم: إنه اسم مرتجل، أي: وضع ابتداءً للذات الإلهية من غير نظر إلى اشتقاقه - وهو أحد قولي سيبويه - فلا يجوز حذف الألف واللام منه.

٢ - أنه مشتق. ولهم في اشتقاقه أقوال:

- أنه مشتق من إله من أَلَوَ له لأن العباد يألهون إلهه، أي: يضرعون ويفزعون إليه في أمورهم، فقل للمألوه إلهه: إله، كما يقال للمؤتم به: إمام.

- وقيل: إنه مشتق من إله من الألوهية، وهي العبادة من قولهم: فلان يتأله، أي: يتعبد. قال رؤية بن العجاج:

لله در الغانيات المـدّه * لما رأتنى خَلَقَ المـوّه

سبحن واسترجعن من تالهي.

أي: من تعبدي. والمدّه: المدّح، وخلق الممّوه: يريد ذهاب الجمال ونضارته.

والمعنى: أن غانياته أخذن يتحسرن عليه كيف تنسك وتعبد بعد ما كان منه في شبابه وصبوته.

- وقيل: إنه مأخوذ من لاه يليه إذا تستر كأنه سبحانه يسمى بذلك لاستتاره واحتجابه عن إدراك الإبصار له.

فبإعادة النظر تجد أن كثيراً من المعاني التي قيل باشتقاق هذا الاسم منها قد اشتمل عليها، واتصف بها^(١).

الرحمن الرحيم:

صفتان جليلتان من صفات الله ﷻ، تدلان على اتصاف الله سبحانه وتعالى بالرحمة على الوجه اللائق بجلاله وعظمته، فلا نشبههما خوفاً من التعطيل ولا نؤولهما خوفاً من التشبيه، بل نؤمن بهما على ما يليق بالله. فكما أن له ذاتاً لا تشبه الذوات، فكذا صفاته لا تشبه الصفات. - والله العاصم من الزلل -.

وقد اختلف العلماء: هل هما بمعنى واحد أو لا؟

فقال بعضهم: إنهما بمعنى واحد جاء لتأكيد معنى الرحمة؛ كندمان ونديم.

(١) الماوردي (١/١)، والقرطبي (١/١٠٢).

وجمهور العلماء على أنها ليسا بمعنى واحد. فذهب أكثرهم إلى أن الرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ورأت قلة منهم العكس وأن الرحيم أشد مبالغة من الرحمن.

وقد روي عن ابن مسعود، وأبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «الرحمن: رحمان الدنيا، والرحيم: رحيم الآخرة».

وإذا صح هذا التفسير وجب المصير إليه، لكن قد روي عنه -أيضاً- من روايات عبدالرحمن بن سابط أن من دعائه: «... ورحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما.. فارحمني رحمة تغنيني بها عمن سواك» أخرجه ابن أبي شيبة.

ومن الأقوال في الفرق بينهما:

١- أن صيغة فعلان في اللغة تدل على المبالغة والكثرة المتجددة غير الدائمة مثل: عطشان، سكران، ظمآن، ورحمان.

وفعل تدل على المبالغة للصفات الدائمة الثابتة، مثل: الكريم، العظيم، والرحيم.

ولهذا لا يستغنى بأحد اللفظين عن الآخر، فهو رحمن رحيم، فهو الموصوف بالرحمة البالغة المتجددة الدائمة.

- وقيل: الرحمن: ذو الرحمة لكل الكائنات.

والرحيم بالمؤمنين، فتكون الرحمن عامة، والرحيم خاصة.

ولابن القيم رأي في الجمع بينهما، وهو:

أن لفظ الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم.

فكان الأول الوصف. والثاني الفعل. أي: أن الرحمن دال على الرحمة صفته، والثاني دال على أنه رحيم بخلقه؛ ولذا قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]. ولم يجيء قط: رحمن بهم.

فهو سبحانه وتعالى رحمن بذاته وبخلقه رحيم. ولو لاحظنا ما اشتملت عليه البسملة من أسماء الله الحسنى الثلاثة: الله، الرحمن، الرحيم. للاحظنا ترتيباً لهذه الأسماء لطيفاً:

* فلفظ الجلالة (الله) هو الاسم -وهو الاسم الأعظم- وما عداه من أسماء إنما هي في حقيقتها صفات. والابتداء بهذا الاسم يوحي بأن ما يليه من أسماء ستتجه من الأخص إلى الأقل خصوصية، وذلك:

* أن لفظ الجلالة (الله) اسم ينفرد به جل وعلا.
* كما نتبين أن في الاسم الآخر (الرحمن) وصفاً خاصاً به جلا وعلا، لا يصح أن يتصف به غيره، وبالتالي لا يصح أن تسمى به غيره، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠].

فهذه الآية جمعت بين عظيم الأسماء، وعظيم الصفات.

* أما الرحيم.. فهو وصف قد يتصف به غيره، فقد وصف الرسول ﷺ بأنه رحيم في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وبهذا يظهر أنه ابتداء بالأخص فالأقل خصوصية.

وهكذا يتبين أن الرحمن الرحيم اسمان دالان على الوصفية مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة. ورحمن أشد من رحيم، وأن الرحمن لم يستعمل في غيره ﷻ.

وكانت الجاهلية تسمي الله به، يقول الشنفرى:

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها * ألا ضرب الرحمن ربي يمينها

أما تسمية مسيلمة الكذاب (مسيلمة بن ثمامة بن كبير الحنفي): رحمن اليمامة كما قال شاعرهم:

سموت بالمجد يا ابن الأكرمين أباً * وأنت غيث الورى لازلت رحمانا

من باب التعنت في الكفر، ثم هو لم يثبت ويتأصل، وأخيراً كأنه لا يعرف إلا مقيداً برحمان اليمامة.

- وهناك من قال بأن الرحمن كلمة جامدة غير عربية، بل هي عبرانية معربة، كالفسطاس رومي معرب، والاستبرق فارسي معرب، قاله ثعلب. ودليله: أن قريشاً لم تعرف هذا الاسم بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ؟﴾ [الفرقان: ٦٠].

وهو ضعيف، مردود، رده القرطبي، وأبو حيان. فإن سلم أنهم لا يعرفونها في الحجاز فلا يسلم أنها ليست بعربية. فقد تقدم ذكرها في بيت الشعر السابق.

وأجاب ابن العربي بأنهم إنما جهلوا الصفة دون الموصوف؛ ولذلك لم يقولوا: ومن الرحمن^(١)، بل قالوا وما الرحمن؟
- حذفت الألف من الرحمن لدخول الألف واللام عليها.

إعراب البسملة:

بسم:

جار ومجرور متعلقان بمحذوف - وهذا الحذف - يصح أن يكون فعلاً عند الكوفيين تقديره: أبدأ أو أبتديء. فالجار والمجرور في محل نصب مفعول به.

ويصح أن يكون المحذوف اسماً تقديره: ابتدائي فالجار والمجرور خبره التقدير ابتدائي بسم الله أي كائن بسم الله. وهذا قول البصريين. والباء هنا للاستعانة، فيكون في الكلام استعارة. أو للإصاق ففي الكلام مجاز. واسم: مضاف. ولفظ الجلالة (الله) مضاف إليه. الرحمن الرحيم: صفتان لله تعالى.

(١) الدر المصون (١/٣٠).

وجملة البسملة لا محل لها من الإعراب.

الحمد لله رب العالمين:

الحمد: هو الثناء الكامل بالجميل على المحمود؛ فالألف واللام لاستغراق الجنس، جنس المحامد.
وقد بدئت خمس سور من القرآن الكريم بالحمد، وهي: الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر، الفاتحة.

هل الحمد والشكر بمعنى واحد أو لا؟ اختلف في ذلك:

١- فذهب الطبري والمبرد وغيرهما إلى أنها بمعنى واحد؛ بدليل صحة قول القائل: الحمد لله شكراً.
إذ لو لم يكونا بمعنى واحد لما صح أن يصدر من الحمد غير معناه وغير لفظه.

٢- وذهب ابن عطية، والقرطبي، وابن كثير، وأبو هلال العسكري إلى أن بينهما فرقاً.

وأن الحمد يكون لذات المحمود، وصفاته، وأفعاله الجميلة.

أما الشكر فيكون على الأفعال الجميلة فقط.

وقالوا: إن ما استدل به الطبري دليل عليه؛ لأن قولك: شكراً إنما خصصت به الحمد، وأنه على نعمة من النعم، فكأنه من باب قتلته صبراً، وأتيته سعيّاً. والقتل غير الصبر، والإتيان غير السعي؛ فالصبر ضرب من ضروب القتل، والسعي نوع من أنواع الإتيان.

ومن أدلة الفرق بينهما:

- ١- الجمع بينهما في أكثر من حديث؛ كقوله ﷺ: «عرض عليّ ربي عز وجل ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً، فقلت: لا يا رب، ولكن أشبع يوماً، وأجوع يوماً- أو نحو ذلك- فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك» أخرجه الترمذي وأحمد من حديث أبي أمامة.
 - ٢- وفي الحديث الآخر أن الله عز وجل يقول: يا عيسى إني باعث من بعدك أمة إن أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا.
 - ٣- وفي الحديث الآخر: فكبرت وحمدت وشكرت.
 - ٤- وفي الحديث: الحمد رأس الشكر، ما شكر الله عبد لم يحمده. والشاهد في هذه الأحاديث: أن الأصل في العطف المغايرة وإلا لما كان للجمع فائدة.
 - ٢- وما يدل على الفرق بينهما اعتبار كل منهما بضده، فبضدها تتميز الأشياء، وتتضح الفروق.
- فالحمد ضده الذم، وضد الشكر الكفر. حجة هذا مقابلة الشكر بالكفر في أكثر من آية، منها: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠].

٣- أن الحمد يكون على المحبوب والمكروه، ولا يحمد على المكروه إلا الله.

أما الشكر فلا يكون إلا على المحبوب؛ لأنه في مقابلة المعروف والنعم وهي أشياء محبوبة.

٤- أن الحمد يكون مقابل نعمة، ويكون ابتداء بخلاف الشكر فلا يكون إلا مقابل نعمة.

واختلف أيهما أعم؟

فقيل: إن الشكر أعم لأنه يكون باللسان والقلب والجوارح، كما قال الشاعر:

أفادتكم النعماء من ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجبا
والحمد إنما يكون باللسان خاصة.

وقيل: الحمد أعم من الشكر لأن فيه معناه، ومعنى المدح، ولأن الحمد يوضع موضع الشكر دون العكس؛ إذ الشكر مقابل نعمة بخلاف الحمد فهو أعم من أن يكون كذلك.

وقال بعضهم: الحمد في معناه أعم من الشكر، والشكر في أثره أعم من الحمد، لأنه بالقلب واللسان واليد.

فكل شكر حمد، وليس كل حمد شكراً، كما أن كل حمد مدح، وليس كل مدح حمداً.

رب العالمين:

الرب يطلق على عدة معان، منها:

١- المالك: يقال: ربه يربه إذا ملكه، والعباد مريبون لله ﷻ أي مملوكون.

٢- السيد: ومنه قوله تعالى: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]، وقوله: ﴿أَمَّا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٤١] وفي الحديث: «أن تلد الأمة ربتها» أي: سيدتها.

٣- المصلح المدبر: إذ يقال لمن قام بإصلاح شيء وإتمامه ربه يربه فهو ربُّ له رابُّ، ورب الشيء أصلحه. ومنه ربة البيت؛ لأنها تديره وتصلحه وتدبره.

٤- المعبود، ومنه قول الشاعر:
أرب يول الثُّغْبَانُ برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب
وقوله تعالى: ﴿أَزْيَابٌ مُنْفَرِقُونَ﴾ [يوسف: ٣٩].

وله إطلاقات أخرى ولا يطلق غير مضاف إلا على الله عز وجل، وإذا أطلق على غيره أضيف، فقيل: رب الدار، ورب الناقة.

العالمين:

اختلف فيه أهل التأويل على عدة أقاويل:

١- أنها جمع عالم، وهو كل موجود سوى الله تعالى، ولا واحد له من لفظه مثل: رهط، وقوم، وجيش. قاله قتادة.

فهو ملحق بجمع المذكر السالم تغليياً للعاقل.

٢- أنهم أهل كل زمان - أي الناس في كل جيل - لقوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ
الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٥] أي: من الناس. قاله الحسين بن
الفضل.

٣- الجن والإنس. ودليله قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ
لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].
ولم يكن نذيراً للبهائم.

والراجع: الأول؛ لعمومه وشموله؛ فالعالم كل من وما سوى الله. دليله
قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
[الشعراء: ٢٣-٢٤].

ووجه التسمية أن كل ما سوى الله علامة على وجود الله وقدرته وبديع
صنعه في جميع أجناس وأنواع خلقه، كما قال ابن المعتز:
فيا عجباً كيف يعصى الإله * أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية * تدل على أنه واحد

من معاني: الحمد لله رب العالمين:

ينبغي أن تجري هذه الآية على السنة المسلمين مجرى المثل وأن تكون
ألسنتهم رطبة بذكرها وتكرارها. كيف لا وهي جامعة لأجناس وأصناف
المحامد الواجبة لله سبحانه وتعالى ذاتاً، وصفاتاً، ومقابلة لنعم الله على
العالمين، وعلى هذا الإنسان المسكين المخلوق من ماء مهين، الذي أكرمه،

ونعمه، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً، وأمدّه بنعم لا تحصى تتوالى عليه في كل أحواله، وجميع أوقاته آناء الليل وأطراف النهار ﴿وَرِن نَعُدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصِيهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

فله الحمد ابتداءً، وله الحمد انتهاءً ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ [القصص: ٧٠].

هذا الحمد المستحق لله، والذي دل عليه وهدى إليه في هذه السورة التي يكررها المسلم مرات ومرات في يومه وليلته، يبلغ فضل الله مداه حين يحمد المسلم ربه حمداً نابعاً من قلبه، خالصاً لوجه ربه.

أخرج ابن ماجه عن ابن عمر ؓ أن رسول الله ﷺ حدثهم أن عبداً من عباد الله قال: يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، فعضلت الملكين فلم يدريا كيف يكتبانها فصعدا إلى الله فقالا: يا ربنا إن عبداً قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها، قال الله -وهو أعلم بما قال- وما الذي قال عبدي؟ قالوا: يا رب: إنه قال: لك الحمد يا رب كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، فقال الله لهما: اكتبها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها. فما أروعها وأعظمها كلمة، وما أجزله وأعظمه جزاء. فلنقلها.

وتقرر هذه الآية العظيمة ربوبية الله سبحانه وتعالى المطلقة والشاملة لجميع موجودات هذا الكون الفسيح وهذا الوجود العظيم بعوالمه المختلفة وأجناسه المتعددة.

فالله تبارك وتعالى رب هذا الكون فهو موجد من العدم، وهو مالكة، وهو مصرفه ومدبره.

* مَنْ إِلَهَ غَيْرَ اللَّهِ يَدْبِرُهُ، وَيَصْرِفُهُ، وَيَحْفَظُهُ؟

* مَنْ إِلَهَ غَيْرَ اللَّهِ يَمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ؟

* مَنْ إِلَهَ غَيْرَ اللَّهِ يَنْزِلُ الْمَطَرُ، وَيَنْبِتُ الشَّجَرُ فَيُخْرِجُ الثَّمَرَ؟

* مَنْ إِلَهَ غَيْرَ اللَّهِ يَحْفَظُ لِهَذَا الْكَوْنِ نَوَامِيْسَهُ؛ فَتَجْرِي أَجْرَامُهُ فِي أَفْلَاكِهَا

بِدَقَّةٍ عَجِيبَةٍ، وَإِحْكَامٍ مُتَقَنٍّ؟

* إِنَّهُ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَلَهُ الْحَمْدُ.

إن هذه الآية لتقرر وحدة الربوبية لهذا الكون أفلاكاً وأجناساً.

فلم يتجاهل الإنسان هذه الحقيقة الكبرى، إنهم جميعاً مخلوقون لرب واحد، ومتناسلون من أب واحد، وأم واحدة. فالإنسان أخو الإنسان مرتين: مرة لأن الرب واحد، ومرة ثانية لأن الأب والأم واحدة.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: ١].

إنه ربكم جميعاً فيا أيها الناس. آمنوا به ربا، واحمدوه شكرا، واعبدوه

تضرعا

الرحمن الرحيم:

عند من يرون أن البسملة آية فمجيء ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لإفادة التأكيد والمبالغة، كما تتكرر بعض الآيات في القرآن، كقوله تعالى: ﴿فَإِنِّي إِلَآءَ رَبِّكُمْ

تَكْذِبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣].

لكن الآخرون يستدلون بهذا التكرار على أن البسملة ليست بآية؛ إذ لو كانت آية لاكتفى بها ولما كرر هذين الاسمين الوصفين هنا. وقد جاء الوصف بهما بعد وصف نفسه بأنه رب العالمين للجمع بين ما يدل عليه اتصافه سبحانه وتعالى بالربوبية من عظمة وجلال.

وما يدل عليه كونه (رحمن رحيم) من رحمة وجمال.

فيجمع في صفاته بين الرهبة منه، والرغبة إليه، وأن ربوبيته ليست ربوبية قهر وقسوة، بل هي ربوبية جلال وجمال، ربوبية قوة ورحمة وكمال.

وعلى المؤمن الجمع بين رجائه والخوف منه، قال تعالى: ﴿تَبَتَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ١١﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ١٢﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠] وقال: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ٣﴾ [غافر: ٣].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد»^(١).

مالك يوم الدين:

قرأ عاصم والكسائي: مالك - بألف - وقرأ الباقر: ملك.

وفي اشتقاقها وجهان:

أ- أنها اشتقا من الشدة، من قولهم: ملكت العجين إذا عجنته بشدة.

(١) القرطبي (١/١٣٩)، الصواف.

ب- وقيل من القدرة، ومنه قول الشاعر:

ملكنت بها كفي فأنهت فتقها * يرى قائمٌ من دونها ما وراءها
وأنهر الطعنة: وسعها.

وقد اختلف أيها أبلغ؟

١- ف قيل: إن الملك أبلغ في المدح من المالك؛ لأن كل ملك مالك، دون العكس؛ فليس كل مالك ملكاً، ولأن أمر الملك نافذ على المالك في ملكه حتى إنه لا يتصرف إلا عن تدبير الملك وإذنه.

٢- وقيل: إن مالك أبلغ في المدح من ملك؛ لأنه يكون مالكا للناس وغيرهم، فالمالك أبلغ تصرفاً وأعظم.

وقد يكون ملك على من لا يملك، فتقول ملك العرب، وملك الروم، وهو لا يملكهم.

ولا يكون مالك إلا على من يملك.

واحتج بعضهم بأن في مالك زيادة حرف، وزيادة المبني تقتضي زيادة المعنى، ثم إن لقارئة عشر حسنات زيادة عمن قرأ ملك.

٣- أن مالك أبلغ في حق الله، وملك أبلغ في مدح المخلوقين. قاله أبو حاتم.

والحق أن القراءة توقيفية وأنه من غير الحسن المفاضلة بينهما وقد ثبتت، فلا حق لنا بتجاوز الثبوت من ثبوت وصحة قراءة الرسول ﷺ بها.

ومن إعجاز القرآن تعدد وجوه قراءة الكلمة ورسمها واحد في المصحف حيث الإيجاز وكثرة المعاني.

يوم:

اليوم عبارة عن وقت طلوع الفجر إلى غروب الشمس.
والمراد به هنا يوم القيامة حيث لا يقدر قدره طويلاً وهولاً إلا الله ﷻ.
فقد بيّنه في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾
يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾ [الأنفطار: ١٧-١٩].

الدين:

له في اللغة عدة معانٍ، منها:

١ - الجزاء، فيوم الدين هو يوم الجزاء؛ إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُؤْفِكُ بِهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ [النور: ٢٥] أي: جزاء أعمالهم بالعدل.
ومنه قول العرب في المثل: كما تدين تدان. أي: كما تُجَازِي تُجَازَى، قال الشاعر:

واعلم وأيقن أن ملكك زائل * واعلم بأن كما تدين تدان
وقال الآخر:

ولم يبق سوى العدو * ن دناهم كما دانوا
ويطلق (الدين) على العادة، كما قال المثقب العيدي من قصيدة رائعة:
تقول وقد درأت لها وضيئي * أهذا دينه أبداً وديني

درأت: دفعت. الوضين: البطان.

ويطلق على الطاعة أو الملك، كما في قول الشاعر:

لئن حللت بجو في بني أسد * في دين عمرو وحالت بيننا فذك

ليأتينك مني منطق قذع * باق كما دنس القبطية الودك

وقول عمرو بن كلثوم:

وأيام لنا غرطوال * عصينا الملك فيها أن ندينا

وله إطلاقات أخرى.

وتخصيص الملك بيوم الدين لإنكار المشركين له، لا ينفي ملكه سبحانه

لما عداه، فقد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين. وهذا عام لكل الموجودات وفي

كل الأزمنة والأوقات.

وإنما خص ﴿وَيَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] بإضافة الملك إليه للتنبيه، والتنويه

بعظم ذلك اليوم وشدة أهواله، وما يجري فيه من أمور.

* ذلكم اليوم الذي تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت.

* ذلكم اليوم الذي تضع فيه كل ذات حمل حملها؛ رهبة وخوفاً.

* ذلكم اليوم الذي ترى الناس فيه سكارى وما هم بسكارى ولكن

عذاب الله شديد.

* ذلكم اليوم حيث الملك يومئذ لله وحده ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ

الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

* فلا يدعي أحد هنالك شيئاً، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه، يوم تخشع الأصوات له وحده: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ سُقْتُ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥].

فخصه بالذكر لكل ذلك، وخصه بالذكر لينبه المشركين والمنكرين ليوم البعث بأنه حاصل لا محالة، وأنه يوم عظيم تتلاشى فيه آلهتهم التي يعبدونها من دون الله، وأن الله -جلّت قدرته- هو المالك وحده، هو المتصرف وحده، في ذلك اليوم العصيب.

فيجازي عباده؛ إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، يجازيهم ويحاسبهم على أعمالهم في الدنيا؛ فما الحياة الدنيا في نظر المسلم إلا طريقاً إلى الآخرة. إلا مزرعته للآخرة، فسوف تحصد من جنس ما تزرع، وسوف تُجْزَى على جنس ما تعمل. قال لبيد:

حصادك يوماً ما زرعت وإنما * يدان الفتى يوماً كما هو دائن^(١)
تخصيصه بالذكر إذاً:

- ١ - للتهويل، وللتنصيب على أن ما ينكره الكافرون واقع لا محالة.
- ٢ - لأنه في الدنيا حصلت المنازعة على الملك، وفي ذلك اليوم يتبين للناس جميعاً أن الملك لله وحده: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

(١) القرطبي (١/١٤٤)، باجوده (٥٥).

إياك نعبد:

كان الأسلوب في أول السورة مستعملاً ضمير الغائب -غيبياً-.
ثم تحول هنا إلى استعمال ضمير المخاطب -خطابي- فما السر في ذلك،
وما الفائدة؟

هذا الأسلوب هو ما يسمى في اللغة وبلاغتها بالالتفات؛ ففي الكلام
التفات من الغيبة إلى الخطاب.

وسرّ ذلك أن المسلم لما أثنى على الله بما هو أهله، وصرف له جميع
المحامد، وقصرها عليه، وأقرّ له بربوبيته لهذا الكون، وآمن له بتفرد بملك
يوم الدين، يوم الجزاء والحساب، ووصفه بعظيم صفاته، برحمته الواسعة
الشاملة.

لما فعل ذلك في أول السورة ارتفعت منزلته، وعلت مكانته؛ فأصبح
قريباً من ربه، فهتف: يارب ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وحدك، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وحدك،
ولا شريك لك.

ولهذا الالتفات فوائد جمّة، منها:

- ١- تلوين الأسلوب، والتفنن في القول، والتنويع في التعبير.
- ٢- أنه يعطي الأسلوب حيوية، ويدفع عنه الرتابة.
- ٣- أنه يشد انتباه السامع، ويجدد نشاطه؛ لمتابعة الحديث والإصغاء إليه.

إياك:

ضمير فعل منصوب مفعول به مقدم، يقابل الكاف في قولك: نعبدك.
وقدم الضمير هنا؛ للاهتمام بالمقدم وتعظيمه، ولقصر العبادة على الله
وحده، ولئلا يتقدم ذكر العبد والعبادة على المعبود. قال العجاج:
إياك أدعو فتقبل ملقي * واغفر خطاياي وكثر ورقي
وكررت ﴿إِيَّاكَ﴾ لأن إعادتها أبلغ وأدل في قصر العبادة والاستعانة عليه
وحده؛ فلاهمية كل منهما سيقنا في جملتين مستقلتين؛ لأن في الاشتراك
تضعيف.

نعبد:

العبادة: الطاعة، والتذلل، والخضوع على وجه الإعظام والتقرب، فهي
أعلى مراتب الخضوع، فلا تصرف إلا لله وحده.
ولا يكفي أن نقول عن العبادة: أنها الطاعة؛ لأن النصارى عبدت عيسى
ولم تطعه بالعبادة.

ولأن الرسول ﷺ مطاع وليس بمعبود بالطاعة.
قال ابن عباس ؓ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إياك نوحّد، ونخاف، ونرجوك، يا ربنا.

وإياك نستعين:

أي: على طاعتك وعلى أمورنا كلها.

ولياك نستعين: أي: نطلب العون والتأييد والتوفيق. وهي مضارع الفعل: استعان.

وأصلها: نستعون. فنقلت الكسرة من الواو؛ لثقلها إلى العين.

فانقلبت الواو ياء؛ لإنكسار ما قبلها، فصارت: نستعين.

- وقد قدم العبادة هنا على الاستعانة:

١- لأن العبادة عامة، والاستعانة جزء منها.

٢- ولأن العبادة غاية وجود الإنسان، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ

وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فهي أحق بالتقديم. أما الاستعانة

فهي وسيلة بلوغ الهدف.

٣- ولأنه قبل أن يطلب من الله العون لابد أن يعبدوه ويطيعوه ويقر له

بالربوبية والألوهية.

- ومحجيء ﴿تَبْدُ﴾ و ﴿نَسْتَعِيْ﴾ هكذا بصيغة الجمع مع أن المتكلم

مفرد.

أنه لما تقدم في أول السورة ما يدل على عظمة الله سبحانه، وكمال

قدرته، وربوبيته لهذا الكون والوجود، واتصافه بعظيم الصفات، وملكه ليوم

الدين وحده، واستغراقه جميع المحامد وجوباً واستحقاقاً.

كان من حقه أن يخضع له وأن يعبدوه جميع البشر؛ فهو المستحق أن يُعبد

وحده، وأن من عبد غيره حري أن لا يلتفت إليه، ولا يعتد به، حيث صرف

عبادته إلى من لا يستحقها، وليس أهلاً لها.

فهذا الفرد المسلم وهو يخاطب ربه يقول: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيذُ﴾ [الفاتحة: ٥].

قد أدرك عظمة الله واستشعر خوفه؛ ولذا بُعد من تصوره أن تصرف العبادة أو أن تطلب الاستعانة من غير الله، فتحدث بلسان الجمع والجميع. وأيضاً للتنبيه على أهمية الجماعة واعتبارها في العبادة والطاعة، فهي أظهر للشعائر، وأبلغ في التأثير، وأجبر للنواقص. ولأن في ذلك تعظيم للخالق المعبود سبحانه حين مخاطبته بعبودية الجميع له.

كما أن في ذلك تكريم للمسلم، واعتزاز له، ورفعته من شأنه، حين يعبد هذا الخالق القادر الموجد.

يقول بعض المفسرين: (إن قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيذُ﴾ هي الدين كله)، ولهذا قال بعض السلف: الفاتحة سر القرآن، وسرها هذه الكلمة ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيذُ﴾ لأن في الأولى: براءة من الشرك. وفي الثانية: براءة من الحول والقوة، وتفويض ذلك إلى الله سبحانه وتعالى.

وهذه الآية جمعت بين:

- الإقرار بالعبودية لله سبحانه، وعبادة الله هي هدف الإنسان في هذا الوجود، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ، [الذاريات: ٥٦] وقوله ﷻ: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ① الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ١-٢].

- وبين طلب الاستعانة على أمور الدين والدنيا.
فجمعت بين الهدف ووسيلة تحقيقه.

اهدنا الصراط المستقيم:

الهداية تأتي بمعنى: الإرشاد، والدلالة، والبيان.
ومعناها هنا: أرشدنا إلى الصراط المستقيم، وثبتنا عليه.
فطلب الهداية من المهتدي، إنما هو طلب للتثبيت عليها، واستدامتها،
والزيادة فيها، واستمرار التمسك بها؛ حتى لا تتفرق به السُّبل، وكما جاء في
الدعاء: (اللهم اجعل خير أعمارنا آخرها، وخير أعمالنا خواتمها).
وفي هذا دلالة على حاجة العبد إلى الهداية في كل وقت.
وفعل الهداية يتعدى بنفسه، وباللام، وبإلى.

الصراط:

أصله في اللغة: الطريق الواضح البين، قال جرير:
أمير المؤمنين على صراط * إذا عوج الموارد مستقيم
وقال عامر بن الطفيل:
شحننا أرضهم بالخيل حتى * تركناها أذل من الصراط

وفيها عدة لغات:

* صراط - بالصادر. وهي لغة قريش.

* سراط - بالسين.

* زراط - بالزاي. لغة لعذرة وبني كلب وبني القين.

* ويذكر ويؤنث، وتذكره أكثر.

وهو مأخوذ من سرطت الطعام، وزردته: ابتلعتة، ومسترط الطعام: هو ممره في الحلق.

فُسِمي الصراط بذلك تصوراً أنه يتلعه سالكه بقطعه له، أو أنه يتلعه هو سالكه حين يختفي فيه.

ولذا يقولون: فلان أكلته المفازة: إذا أهلكته. وأكل المفازة: إذا قطعها.

المستقيم:

الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف.

وأصلها: مُسْتَقِيمٌ. فقلبت الواو ياء؛ لمناسبة الكسرة التي قبلها، فقلنا:

مستقيم.

وقد اختلف في المراد بالصراط هنا على نحو عشرة أقوال، منها:

١ - أنه كتاب الله. قاله علي، وابن مسعود، بل قد روي عن الرسول ﷺ

كما جاء في الحديث الطويل، وفيه: «هو جبل الله المتين، وهو الذكر

الحكيم، وهو الصراط المستقيم»^(١).

٢ - أنه الإسلام. قاله جابر بن عبد الله، ومحمد بن الحنفية.

٣ - أنه الرسول ﷺ، وخيار أهل بيته وصحابته. قاله الحسن وأبو العالية.

(١) أخرجه الترمذي، وفي إسناده مجهول، وفي الحارث الأعور مقال.

وقيل: طريق الحق. وقيل: طريق الحج. وقيل: الطريق إلى الجنة.. أو الصراط المنصوب على جهنم..
والأولى عدم تخصيصه إلا بدليل يقوم على ذلك. وتحمل هذه الأقوال على أنها من باب التفسير بالمثل.
وهذا الدعاء في الفاتحة من أعظم الأدعية. التي على المسلم المحافظة عليها والتزامها.

صراط الذين أنعمت عليهم:

صراط: هنا جاء بدلاً من الأول لزيادة الإيضاح.
وجمهور المفسرين أن المنعم عليهم: هم المذكورون في قوله تعالى:
﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ
وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

ويستدل بهذه الآية: ﴿أَفِدْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝١ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦-٧] على صحة إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ووجه ذلك: أن الرسول ﷺ قد بين أن أبا بكر من الصديقين، فهو داخل في عداد الذين أنعم الله عليهم، وقد أمرنا بسورة الفاتحة أن نسأل الله الهداية إلى صراطهم، وهذا دليل على أن إمامته حق.

فهؤلاء على صراط مستقيم، وهو المطلوب هنا.

وقيل: إنهم الملائكة، وقيل: الأنبياء، وقيل: المؤمنون بالكتب السابقة.. إلى غير ذلك.

وقد قرأ ابن الخطاب، وعبدالله بن الزبير: (صراط من أنعمت عليهم)، وهي قراءة شاذة.

أنعمت: أطلق الإنعام هنا فلم يذكر المنعم به حتى يعم ويشمل جميع النعم.

غير المغضوب عليهم ولا الضالين:

في هذه الآية أدب رفيع حين نسب الإنعام إلى الله مباشرة، وبني الغضب للمجهول.

وأصل الضلال: الانحراف، وهو ضد الهداية.

وهل هما وصف واحد أو وصفان متباينان ومختلفان؟ على قولين:

١ - أنها وصف واحد لغير المسلمين.

٢ - وقيل المغضوب عليهم: اليهود. والضالين: النصارى.

وقد اختلف في تعيينهم على نحو عشرة أقوال. غير أن الصحيح والذي عليه الجماهير من المفسرين: أن المغضوب عليهم هم اليهود وأمثالهم، ممن علموا الحق ولم يعملوا به، بل اجتنبوه عن علم وعناد وعمد. وخصوا بالغضب لشدة عداوتهم للحق وأهله.

والضالين: النصارى، وأمثالهم ممن ضلوا عن الحق ولم يهتدوا إليه.

فقد جاء ذلك في حديث قصة إسلام عدي بن حاتم الطويل.

وقد أخرجه الترمذي، والطبري، وأحمد، وابن كثير. وقد كان ينبغي

المصير إليه والاقتصار عليه.

وشاهد ذلك في اليهود قوله تعالى: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ [البقرة: ٩٠]، وقوله: ﴿وَعُذِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.

وفي النصارى: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

وليس في تخصيص اليهود بالغضب، والنصارى بالضلال تبرئة للفريق الآخر من الصفة الأخرى، وإنما ذكر مع كل فريق الصفة الغالبة.

- وتقديم الغضب بالذكر لشدته ولمقابلته بالرضا الذي دل عليه قوله تعالى: ﴿مِرْطَ الَّذِينَ آمَنَتْ عَلَيْهِمْ﴾ فإنعامه عليهم دليل على رضائه عنهم.

- قرأ عمر بن الخطاب، وأبي بن كعب: (غير المغضوب عليهم وغير الضالين).

- اختلف في (لا) في قوله: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

١- فقال بعضهم -الطبري-: هي زائدة.

٢- وقيل: إنها غير زائدة، وأنها دخلت هنا لتأكيد معنى النفي المفهوم من (غير) حتى لا يتوهم عطف (الضالين) على الذين أنعم الله عليهم.

٣- وقيل: إن (لا) بمعنى غير. وهي قراءة عمر وأبي.

آمين:

يستحب لمن يقرأ الفاتحة أن يقول بعد الفراغ منها: آمين.

وهي ليست من الفاتحة، ولا من القرآن. ومعناها عند أكثر أهل العلم: اللهم استجب.

وفي بعض الآثار عن ابن عباس رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: ما معنى (آمين)، فقال: «رب افعل».

وقال الترمذي: معناه: لا تخيب رجاءنا.
وفيها لغتان:

١ - المد (آمين) على وزن فاعيل كـ (ياسين). قال الشاعر (أبو نواس):
صلى الإله على لوط وشيعته * أباعبيدة قل بالله آمينا
وقال الآخر:

يارب لا تسلبني جهاً أبداً * ويرحم الله عبداً قال آمينا
وقال غيره:

آمين آمين لا أرضى بواحدة * حتى أبلغها ألفين آمينا

٢ - واللغة الثانية: القصر (أَمِين) على وزن (يمين)، قال الشاعر:

تباعد مني فطَحَلْ إذ دعوته * آمين فزاد الله ما بينا بعدا

- وخطأ بعضهم تشديد الميم (آمين)، وأجازه قلّة على معنى (نحن

قاصدون نحوك)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا آمِينَ أَلَيْتَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢].

- وهل يقولها الإمام؟ اختلف في ذلك على قولين.

إعراب الفاتحة:

الحمد: مبتدأ مرفوع بالضمّة الظاهرة.

لله: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر.

رب: صفة لله أو بدل منه، وصفة المجرور مجرور، وهو مضاف.

العالمين: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق

بجمع المذكر السالم.

الرحمن الرحيم: صفتان لله تعالى، وصفة المجرور مجرور.

مالك: صفة رابعة لله مجرورة، وهو مضاف.

يوم: مضاف إليه مجرور، وهو مضاف.

الدين: مضاف إليه مجرور.

إياك: ضمير منفصل في محل نصب مفعول به مقدم للاختصاص.

نعبد: فعل مضارع مرفوع، وفاعله ضمير مستتر وجوباً تقديره: نحن.

وإياك نستعين: الواو عاطفة، و(نستعين) فعل مضارع مرفوع، وهو معتل

أجوف أصله نستعون.

اهدنا: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، فهو هنا بمعنى الدعاء.

و(نا) ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والفاعل ضمير مستتر

وجوباً تقديره: أنت.

الصراط: مفعول به ثان، أو يقال: منصوب بنزع الخافض؛ لأن هدى عند

كثيرين لا تتعدى إلا إلى مفعول واحد وتتعدى إلى الثاني باللام، كقوله

تعالى: ﴿يَهْدِي لِلَّذِينَ هُمْ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، أو بإلى، كقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

لكن غلب عليها الاتساع فعداها بعضهم إلى مفعولين.

المستقيم: صفة للصراط، وصفة المنصوب منصوبة، وهو معتل وأصله: مستقوم.

صراط: بدل كل من الصراط، وهو مضاف.

الذين: اسم موصول في محل جر، مضاف إليه.

أنعمت: فعل ماض مبني على السكون؛ لاتصاله بضمير رفع متحرك.

والتاء ضمير متصل في محل رفع فاعل. وجملة (أنعمت) لا محل لها من

الإعراب صلة الموصول.

عليهم: جار ومجرور متعلقان بـ(أنعمت).

غير: بدل من الضمير في (عليهم)، أو بدل من (الذين)، أو نعت (للذين)

وعلى (غير) فهو مجرور، وهو مضاف.

و(غير) لفظ مفرد مذكر أبداً ملازم للإضافة لفظاً أو تقديرًا؛ لذا لا

يجوز إدخال الألف واللام عليه.

المغضوب: مضاف إليه مجرور بالكسرة، وهو اسم مفعول.

عليهم: جار ومجرور في محل رفع فاعل لـ(المغضوب)؛ لأنه اسم مفعول.

ولا: الواو حرف عطف، ولا لتأكيد معنى النفي المفهوم من (غير) (صلة

زائدة).

الضالين: معطوفة على (المغضوب عليهم) مجرور وعلامة جره الياء؛ لأنه جمع

مذكر سالم.

ثبت المراجع

- ١- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٤ م.
- ٢- أحكام القرآن لأبي بكر الجصاص الحنفي، ت ٣٧٠ هـ، طبعة مصورة عن الطبعة الأولى بمطبعة الأوقاف الإسلامية في دار الخلافة سنة ١٣٣٥ هـ، نشر: دار الكتاب العربي.
- ٣- أحكام القرآن، لأبي بكر ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- ٤- أسماء سور القرآن الكريم، د. محمد الشايع، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٢ هـ، دار كنوز إشبيلية بالرياض.
- ٥- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، سنة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م.
- ٦- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، شرح: السيد أحمد صقر، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٣ هـ نشر: دار التراث القاهرة.
- ٧- تفسير الفخر الرازي = التفسير الكبير، ط ٢، دار الكتب العلمية،

طهران.

٨- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، طبع دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٩- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، نشر: دار إحياء التراث العربي بيروت.

١٠- خير الكلام في القراءة خلف الإمام، للبخاري.

١١- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، نشر: دار القلم دمشق سنة ١٤٠٦ هـ.

١٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، طبعة دار الفكر، بيروت.

١٣- ديوان ذي الرمة.

١٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود شكري الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٥- سنن الترمذي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثالثة، ١٣٩٦ هـ.

١٦- سنن الدار قطني، دار المحاسن القاهرة، ملتزم الطبع: عبد الله هاشم المدني.

١٧- سنن الدارمي، نشر: دار إحياء السنة النبوية، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨- صحيح البخاري، طبعة المكتب الإسلامي بإستانبول، سنة ١٩٧٩ م.

١٩- صحيح مسلم بشرح النووي، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٢ هـ، نشر: دار الفكر، بيروت.

٢٠- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، المطبعة السلفية ومكتبتها.

٢١- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لجار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة بيروت.

٢٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، المغرب سنة ١٣٩٩ هـ، مطبعة فضالة.

٢٣- المكي والمدني في القرآن الكريم، الدكتور محمد الشايع، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨ هـ.

٢٤- النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، نشر: دار الفكر.

٢٥- النكت والعيون، للهاوردي، مراجعة وتعليق: السيد بن عبد المقصود

عبد الرحيم، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٣هـ، نشر: مؤسسة الكتب

الثقافية، بيروت.

فهرس الموضوعات

٥.....	تقديم
٦.....	مقدمة في تفسير سورة الفاتحة
٧.....	أدلة نزولها بمكة:
٨.....	أدلة نزولها بالمدينة:
٣٠.....	القول في الاستعاذة
٣٣.....	صيغ الاستعاذة
٣٦.....	وقت الاستعاذة:
٣٩.....	إعراب الاستعاذة:
٤٣.....	بسم الله الرحمن الرحيم
٤٣.....	ابتدائها:
٤٣.....	هل البسملة آية أو لا؟
٤٨.....	كتابتها في كتب العلم
٥٠.....	بسم الله الرحمن الرحيم
٥٠.....	(بسم):
٥٢.....	الله:
٥٤.....	الرحمن الرحيم:
٥٨.....	إعراب البسملة:

- الحمد لله رب العالمين: ٥٩
- من معاني: الحمد لله رب العالمين: ٦٣
- الرحمن الرحيم: ٦٥
- مالك يوم الدين: ٦٦
- إياك: ٧٢
- نعبد: ٧٢
- وإياك نستعين: ٧٢
- اهدنا الصراط المستقيم: ٧٥
- الصراط: ٧٥
- المستقيم: ٧٦
- صراط الذين أنعمت عليهم: ٧٧
- غير المغضوب عليهم ولا الضالين: ٧٨
- آمين: ٧٩
- إعراب الفاتحة: ٨٠
- ثبت المراجع: ٨٣
- فهرس الموضوعات ٨٧